
روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سرى جدا !!
104
أنياب ومخالب
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

١ - الأنياب..

اكتمل القمر فى تلك الليلة ، من ليالى خريف حار ، فى القرن الحادى والعشرين ، وتوسَّط السماء الخالية من الغيوم ، فى مشهد رائع خلاب ، وغمر ضوؤه الفضى رمال الصحراء ، فى تلك البقعة ، بالقرب من مدينة (مرسى مطروح) ، حيث أقيم مطار مدنى صغير ، لإقلاع وهبوط الطائرات الخاصة ، والحوَّامات التابعة للأفراد والشركات ، فألقت الأجنحة المعدنية ظلالاً طويلة ، على الممرات العديدة ، على نحو يستحق التسجيل ، فى صورة هولاجرامية أنيقة ..

وفى هدوء ، وبخطوات واسعة رتيبة ، راح حارس شاب يقطع ممرات المطار ، ويراقب الطائرات فى شىء من الضجر ، اكتسبه من طول عمله فى المكان ، الذى لم يشهد حادثًا عرضيًا واحدًا ، منذ تم إنشاؤه ، قبل ستة أعوام كاملة ..

كان كل شىء على ما يرام كالمعتاد ..

الطائرات متراصة فى نظام ..

الحوّامات بعضها إلى جوار البعض ..

برج المراقبة صامت ساكن ..

الرياح خفيفة معتدلة ، و ...

وفجأة ، توقّف الحارس الشاب ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يحدّق فى بقعة بعينها ، فى نهاية الممر ، خُيّل إليه أن فيها ظلاً بشريًا ، يعبث بإحدى الطائرات المتوسطة ، التى تسع خمسة أفراد ...

ولوهلة ، تصوّر الحارس الشاب أنه واهم ، ثم جال بخاطره أنها مجرّد ظلال خادعة ، إلا أن ذلك الظلّ لم يلبث أن تحرك مبتعدًا ، فاتضحت معالمه على ضوء القمر ، ولم يعد هناك شكٌ فى ماهيته ..

إنه شخص ما ...

شخص نحيل طويل ، يرتدى ثوبًا من قطعة واحدة ، وحرملة كبيرة سوداء ..

واحتبست الكلمات فى حلق الحارس الشاب لحظة ، قبل أن تثب خارجه بغتة ، وهو يهتف فى صوت مبحوح :

ـ من .. من هناك ؟!

توقّف ذلك الشخص بغتة ، واستدار يتطلّع إليه فى بطء ..

كان القمر خلفه مباشرة ، مما حجب تفاصيل ملامحه تمامًا ، وجعل الحارس الشاب يوقد مصباحه اليدوى فى سرعة ، ويسلّطه على وجه ذلك الشخص ، قائلاً فى توتر واضطراب :

ـ أفصح عن هويتك وإلا ...

بتر عبارته بغتة بشهقة مذعورة ، عندما وقع بصره على تلك الملامح القاسية ، لصاحب الوجه الصارم النحيل ، بعينيه الغائرتين المخيفتين ، ونظراته التى تبدو أشبه بنظرات ذئب مفترس ، انتزع أحدهم فريسته عنوة ...

وارتجف الحارس الشاب بحق ، وهو يستلّ مسدسه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ أعلن هويتك يا هذا ، أو ...

رفع النحيل يده فجأة بحركة حادة ، انتفض لها جسد الشاب ، وخاصة عندما اقترنت بذلك البريق الرهيب ، الذى أطلّ من العينين المخيفتين ، وذلك الصوت العميق ، الذى انطلق من بين الشفتين الرفيعتين ، وبدا وكأنه ينبعث من أعماق قبر عميق ، لم يُفتح منذ ألف عام ، بكلمة واحدة صارمة :

ـ (ألفا) .

ومع آخر حروف الكلمة ، انطلقت الزمجرة المخيفة ..

زمجرة أتت من خلف الشاب تمامًا ، فاستدار إلى مصدرها فى سرعة ، و ...

وتجمّد الدم فى عروقه ..

لقد وقع بصره على حيوان عجيب ، أشبه بذئب ضخم ، له أنياب حادة طويلة ، وينبت فى منتصف جبهته قرن واحد طويل ، ويغطى جسده كله فراء أشبه بفراء الدب ..

ولقد استوعب الحارس الشاب هذه التفاصيل كلها فى لحظة واحدة ..

ولم يكن يمتلك ، فى الواقع ، سوى هذه اللحظة ..

ففى اللحظة التالية ، انقضّ عليه ذلك الحيوان الرهيب ، وهو يطلق زمجرة أخرى ..

وفى جسده ، انغرست الأنياب الحادة القاتلة ..

وأطلق الشاب صرخة هائلة ، تجمع ما بين الذعر والألم ..

صرخة امتزجت بلهاث الحيوان ، وصوت الأنياب والمخالب ، وهى تنهش الجسد وتمزّقه ..

ثم سكت الشاب تمامًا ..

وعاد الهدوء إلى المطار الصغير ..

هدوء استغرق دقائق معدودة ، قبل أن يدير النحيل محرّك الطائرة ، ويقول بصوته الجاف العميق :

- (ألفا) ... (بيتا) .

ومع النداء ، برز حيوان آخر مماثل ، تبع زميله إلى الطائرة ، وقفزا داخلها ، قبل أن تنطلق فوق ممر الإقلاع ، وتحلّق متجهة إلى الهدف التالى ...

إلى (القاهرة) ..

★ ★ ★

« انطلق .. » .

تردّد ذلك الهتاف فى قاعة التدريبات الرياضية ، فى مبنى إدارة المخابرات العلمية المصرية ، فاستجاب له (نور) ، وهو يثب داخل القاعة الواسعة ، ويعدو نحو عدد من الحواجز ، تخطّاها بقفزات مرنة رشيقة ، قبل أن تندفع نحوه كرة صغيرة ، مال يتفاداها فى خفة ، ثم دار حول نفسه ، وأطلق نحوها أشعة ليزر من مسدسه ، فانفجرت بصوت مكتوم ، فى نفس اللحظة التى انزلقت فيها كرة أخرى ، نحو قدمى (نور) ، الذى عبرها بوثبة ماهرة ، ثم أطلق عليها طلقة أشعة أخرى ، نسفتها بنفس الصوت المكتوم ..

وعبر ربع ساعة متصلة ، راحت أجسام مختلفة الأشكال والأحجام تهاجم (نور) ، مع تصاعد تدريجى فى عنف الهجوم ، وسرعة الأجسام ، وقدرتها على إطلاق أشعة مماثلة ..

كان الأمر أشبه بلعبة من ألعاب الفيديو ، تجسَّمت داخل القاعة ، وتحوَّلت إلى حقيقة ملموسة ، و(نور) جزء منها ..

وأخيرًا ، انبعث صوت حاسم ، يقول :

ـ هذا يكفى .

توقَّف الهجوم دفعة واحدة ، واعتدل (نور) ، وهو يلهث فى إرهاق ، وصاحب الصوت يتابع ، عبر مكبرات صوتية خاصة ، موزَّعة فى القاعة :

ـ هذا جيِّد أيها المقدَّم (نور) .. لقد اجتزت الاختبار بنجاح .

ومع آخر كلمات العبارة ، انفتح باب جانبى فى القاعة ، وبرز منه المدرِّب نفسه ، وهو يستطرد :

ـ كنت أخشى أن تكون عمليتك الأخيرة قد تركت أثرًا ما فى ردود أفعالك ، أو استجاباتك المنعكسة ، ولكن هذا لم يحدث والحمد لله .

ردَّد (نور) فى خشوع :

ـ حمدًا لله (العلى القدير) .

ودسَّ مسدسه فى حزامه ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لم يكن حال زميلى للأسف .

زاوله المدرّب بنشقة جافة ، وهو يقول :

ـ (أكرم) ؟!.. لا أحد يمكنه الجزم بعد ، فما زال غارقًا فى غيبوبته ، منذ أسبوع كامل ، ولكننى طلبت تقريرًا عن حالته ، من أطبائه المعالجين ، وهم يؤكدون أن نتائج الفحوص تشير كلها إلى أن خلايا مخه كلها سليمة ، أما عن ردود الأفعال والاستجابات العضلية العصبية ، فهذا أمر لا يمكن حسمه إلا بعد أن يستعيد وعيه ، وهم لا يستطيعون تحديد موعد هذا بالضبط .

هزَّ (نور) رأسه فى أسف ، وأطلق من أعمق أعماق صدره تنهيدة حارة ، جعلت المدرِّب يسأله فى خفوت :

ـ هل تفتقده ؟

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يرفع عينيه إلى مدرِّبه ، قائلاً :

ـ العجيب أن هذا صحيح .. إننى أفتقده بالفعل .

سأله المدرِّب فى دهشة :

ـ وما وجه العجب فى هذا ؟

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يبتسم فى هدوء ، قبل أن يجيب :

ـ إننا نختلف فى كل شىء تقريبًا ، ونكاد نشتبك مع بعضنا فى أثناء عملنا معًا ، وعلى الرغم من هذا ، فأنا

أفتقده كثيرًا ، وأتمنى من أعماق قلبى أن ينهض من غيبوبته ، ليعاود العمل معى .

ابتسم المدرّب ، وهو يسأله :

ـ وفيم تختلفان بالضبط ؟

أجابه (نور) :

ـ فى الكثير .. إنه حاد فى تصرفاته وانفعالاته ، وعواطفه تهزم عقله فى معظم الأحيان ، ثم إنه لا يقيم وزنًا لحياة من نقاتلهم ، ويعتقد فى كثير من الأحيان أن القتل هو الوسيلة المثلى ، لإزاحة الخصم عن طريقه .

سأله المدرّب :

ـ وفيم تتفقان ؟

بدا وكأن السؤال جاء مباغتًا لـ(نور) ، الذى حدّق فى وجه مدرّبه لحظة ، ثم تنحنح ، مجيبًا فى خفوت :

ـ فى كل ما عدا هذا .

أدهشته ابتسامة المدرّب ، التى تحمل كل الثقة والارتياح ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لهذا ينجح عملكما معًا .

ثم ربّت على كتف (نور) ، مستطردًا :

ـ الناس يا ولدى تختلف كثيرًا ، فى نظرتها للحياة ، وتعاملاتها معها ، ومن الطبيعى أن يرفض كل منهم ما لا يتفق ووجهة نظره ، إلا أن هذا لا يعنى ألا يتعامل الإنسان إلا مع من يسيرون على نهجه وحدهم .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .

ابتسم المدرّب ، قائلاً :

ـ سيستعيد (أكرم) وعيه بإذن اللّه ، وسيعود إلى العمل فى فريقك المحدود ، وستنجحان كالمعتاد ، فى كل عملياتكما القادمة .

ضحك (نور) وهو يقول :

ـ أتمنى أن تكون عندئذ عمليات معقولة ، فالعمليات التى واجهناها معًا ، فى الآونة الأخيرة ، كانت تتسم كلها بالعنف إلى حد الإرهاق .

ـ للأسف يا (نور) ...

سواء استعاد (أكرم) وعيه أم لا ، فالعملية القادمة ستحمل لك ذلك العنف الذى يرهقك ويقلقك ..

ولكنها ستختلف بالتأكيد عن العمليات السابقة ..

ستكون أكثر إرهاقًا ..

وأكثر عنفًا ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

استرخى رجال الأمن ، داخل البنك المصرى التجارى ، وهم يراقبون أجهزة الرصد ، فى حجرتهم الخاصة ، وتمتم أحدهم مبتسمًا :

- لو أبدلوا هذه الشاشات بأخرى هولوفيزيونية ، ستصبح نوبة الحراسة هنا ممتعة .

ضحك زميلاه لقوله ، وأشار أحدهما إلى شاشات الرصد العديدة ، وهو يقول :

- بالتأكيد ، فمع كل هذا العدد ، يمكنك مشاهدة القنوات الرئيسية كلها فى آن واحد .

اعتدل يسأل زميله هذا فى اهتمام :

- هل تعتقد أن المرء يمكنه متابعة عدة قنوات هولوفيزيونية فى آن واحد ؟

أشار الثالث بسبابته ووسطاه ، قائلاً :

- أنا أتابع فى المعتاد قناتين معًا .. قناة الدراما (*) والقناة الرياضية .

ضحك الأول ، وهو يقول :

(*) الدراما : كلمة مشتقة من الفعل اليونانى (دران) ، بمعنى (يؤدى) ، أو (يفعل) ، وهى ترتبط بالتمثيل المسرحى أو السينمائى ، ومنها نوعان (التراجيديا) أى المأساويات أو الواقعيات ،

- وكيف يمكنك متابعتهما معًا ، وكل منهما يحتاج إلى تركيز كامل ؟

لوّح الثالث بيده ، قائلاً :

- ليس معى .. إننى أستطيع مشاهدتهما معًا ، دون أن أفقد لحظة واحدة من أيهما .

ثم اعتدل فى حماس ، مستطردًا :

- هل تعلمان ؟.. أمس كانت القناة الرياضية تعرض مباراة كرة القدم النهائية ، وفى الوقت ذاته ، كانت قناة الدراما تعرض أحد أفلام الرعب المجسّم ، وأنا أعشق هذه النوعية ، ولذا فقد تابعت العملين فى آن واحد ، وكان فيلم الرعب مثيرًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بالجدار الخلفى للبنك ، وقطع شبكة اتصالاته ، فانطفأت شاشات المراقبة كلها فى آن واحد ، وقفز رجال الأمن الثلاثة من مقاعدهم ، واستلّ كل منهم مسدسه فى حركة غريزية ، وهتف أحدهم فى انفعال :

- ماذا حدث ؟

أجابه الثانى فى توتر واضح :

- أحدهم نسف الجدار الخلفى .. كل خطوط الاتصال والمراقبة مزروعة هناك .

هتف الثالث :

ـ ولكننا لم نر شيئًا ، على شاشات المراقبة .

قال الأوَّل ، وهو يسرع معهما إلى مصعد الحراسة الخاص :

ـ ربما استخدموا مدفعًا بعيد المدى .

هبط بهم المصعد إلى الطابق الأرضى فى سرعة ، ولم يكد يستقر هناك ، حتى دوى الانفجار الثانى ، فارتجَّ له المصعد فى عنف ، وهتف الثالث :

ـ الخزانة .. خزانة الذهب .. هذا الانفجار عند خزانة الذهب .

أجابه الأوَّل فى انفعال :

ـ هذا يجعل الأمر واضحًا .. إنها عصابة تسعى لسرقة سبائك الذهب ، التى تملأ الخزانة ، وأعتقد أنهم أساءوا الاختيار ، فصفارات الإنذار تنطلق تلقائيًا ، فى مركز الأمن العام ، فور قطع خطوط المراقبة ، ولن تمضى دقائق خمس ، حتى يحاصر رجال الأمن المبنى كله ، وهذا الوقت لا يكفى لنقل عُشر كمية سبائك الذهب الـ ...

بتر عبارته ليطلق شهقة هلع ، عندما تجاوز الممر المواجه للمصعد ، وانحرف ناحية خزانة الذهب ..

فهناك .. عند مدخل الخزانة ، التى تحطَّم بابها الفولاذى تمامًا ، وقف رجل نحيل طويل ، يوليهم ظهره ، ويصوِّب أسطوانة رفيعة إلى سبائك الذهب ، ثم يطلق نحوها أشعة خضراء عجيبة ..

وتألَّقت كل سبائك الذهب دفعة واحدة ، ببريق أخضر جذَّاب ..

ثم حدثت ظاهرة مدهشة ..

سبائك الذهب أخذت تنكمش فى سرعة غريبة ، حتى أصبحت فى حجم صندوق صغير ..

وعندما انحنى ذلك النحيل ، ليلتقط السبائك المنكمشة ، تجاوز رجال الأمن الثلاثة حالة الذهول التى شملتهم ، وهتف أحدهم :

ـ توقَّف يا هذا .

اعتدل النحيل دفعة واحدة ، ثم استدار إليهم فى بطء ، وشملتهم عيناه الغائرتان المخيفتان بنظرة واحدة ، انتفضت لها قلوبهم هلعًا ، وإن تمالك ثالثهم جأشه قليلاً ، وهو يلوِّح بمسدسه ، قائلاً :

ـ اسمع .. أيًا كنت .. استسلم أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، رفع النحيل ذراعيه فى آن واحد ، وهتف بصوته العميق الرهيب :

ـ (ألفا) ... (بيتا) .

وما أن فعل ، حتى انطلقت تلك الزمجرة المخيفة ، من خلف الحرّاس الثلاثة ..

وقبل أن يلتفت أحدهم ، كان الحيوانان قد انقضا فى آن واحد ...

وانطلقت الصرخات الرهيبة ..

وبينما كانت الأنياب الحادة تمزّق الرجال الثلاثة ، انحنى النحيل فى هدوء ، وحمل سبائك الذهب المنكمشة ، ثم اتجه عبر فجوة الجدار إلى سيّارة تنتظره ، واستدار يشير إلى الحيوانين ، اللذين تخلّيا عن فرائسهما ، وأسرعا إلى السيارة ، ووثبا داخلها ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها صوت أبواق سيارات الشرطة التى تسرع إلى الموقع ..

وفى هدوء مخيف ، أخرج النحيل من جيبه كرة شفّافة ، تتألّق داخلها شرارات أرجوانية ، وصوّبها إلى سيارات الشرطة الخمس ، التى لاحت عند ناصية الشارع ، ثم ضغط جانبيها ، و ..

وانطلقت صاعقة رهيبة ..

صاعقة نسفت سيارات الشرطة فى عنف ، فانقلبت إحداها فى قوة ، وطارت الثانية فى الهواء ، وانسحقت الثالثة تحت التأثر المباشر ، فى حين راحت الرابعة



— (ألفا) ... (بيتا) .

والخامسة تتدحرجان وترتطمان ببعضهما ، والنيران تشتعل فيهما ، حتى استقرّتا حطامًا إلى جانب الطريق ، وقد تصاعدت منهما سحابة دخان سوداء كثيفة ..

أما ذلك النحيل ، فقد راقب المشهد في هدوء مثير ، ثم نلف إلى السيارة ، وانطلق بها متجاوزًا الحطام والنيران وسحب الدخان ، ليغوص وسط شوارع (القاهرة) ، في ليلة شهدت بداية مرحلة جديدة في عالم الشر ..

مرحلة ذات أنياب ..

ومخالب .





٢ ـ والمخالب ..

توقّفت سيارة (نور) أمام مدخل الشارع الخلفي لبنك (مصر) التجاري ، وتعلّقت عيناه بالحطام والدمار ، الذي ملأ المكان ، وهو يغادر سيارته ، ويبرز بطاقته لرجال الشرطة ، قائلًا :

ـ المقدّم (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية .. أين مسئول المعمل الجنائي ؟

أشار أحد رجال الشرطة إلى منطقة تكدّست بالباحثين ، الذين يعملون في نشاط جم ، وقال في شيء من الضجر :

ـ هناك .. ستجده وسط تلك الجلبة ، بالقرب من الحطام .

اتجه (نور) إلى المكان المشار إليه ، ووقع بصره على مسئول المعمل الجنائي ، الذي انهمك في فحص قطعة من حطام إحدى سيارات الشرطة ، فاقترب منه ، وسأله :

ـ هل فحصتم المكان كله ؟

رفع الرجل عينيه إليه ، وهتف :

ـ المقدّم (نور) .. إنني أنتظرك منذ نصف ساعة .

صافحه (نور) ، قائلاً :

ـ لقد أسرعت إلى هنا ، فور علمى بالأمر .. ما الذى حدث بالضبط ؟

أجابه الرجل ، وهو يجفف عرقه الغزير :

ـ بعضهم اقتحم البنك ، وسرق كل مخزون الذهب .

قال (نور) فى دهشة :

ـ وما شأن المخابرات العلمية بحادثة سرقة كهذه ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. لقد طلبوا منى استدعاءك ، ففعلت .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ من طلب منك هذا ؟

تنهَّد الرجل ، ومسح عرقه مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ الطبيب الشرعى الجديد .. ستجده فى الداخل ، يفحص جثث رجال أمن البنك .

فارقه (نور) ، وعبر الفجوة فى الجدار إلى داخل البنك ، واتجه مباشرة إلى الخزانة ، حيث انحنى الطبيب الشرعى يفحص إحدى الجثث ، و ...

ـ « أنت ؟! .... »

هتف بها (نور) ، فى مزيج من الدهشة والفرح ، وهو يندفع نحو الطبيب الشرعى ، الذى استدار إليه بابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا (نور) .. مضت فترة طويلة ، منذ التقينا لآخر مرة .

صافحه (نور) فى حرارة ، قائلاً :

ـ دكتور (حجازى) .. مرحبًا بك ألف مرة يا سيِّدى .. متى عدت من المملكة العربية السعودية ؟!

أجابه الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين بابتسامة كبيرة :

ـ منذ أسبوع واحد فقط .. إنها أوَّل قضية تُسند إلىَّ هنا ، منذ فترة طويلة .

ضحك (نور) وهو يقول :

ـ لهذا يطلق عليك مسئول المعمل الجنائى لقب (الطبيب الشرعى الجديد) .

ثم تلاشت ضحكته ، وهو يستعيد جديته ، مستطردًا :

ـ ولكن لماذا طلبت استدعائى ، فى حادثة سرقة عادية .

أجاب الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ إنها حادثة سرقة بالفعل ، ولكنها ليست عادية أبدًا يا (نور) .. لقد تعرَّض رجال الأمن المساكين لتمزيق بشع .. انظر .

قالها وكشف الغطاء عن الجثة أمامه ، فارتفع حاجبا (نور) ، وتراجع فى حدة ، هاتفًا :

- يا للبشاعة !

كانت الجثة ممزّقة على نحو عنيف ، شديد البشاعة ، على نحو لم يشاهده (نور) قط من قبل ، فهتف فى إشفاق واشمئزاز :

- ما الذى فعل بهم هذا ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وهو يجيب :

- لست أدرى .

تطلّع إليه (نور) فى دهشة ، فتابع بسرعة :

- حقيقة لست أدرى يا (نور) ، فما أصاب هؤلاء المساكين حدث بفعل أنياب حادة ومخالب قوية ، كما لو أن المسئول عن تمزيقهم أسد هصور ، ولكن العجيب أنه اكتفى بالتقطيع والتمزيق فحسب ، دون أن يلتهم قطعة واحدة من أجساد ضحاياه .

قال (نور) فى تردُّد :

- ربما لم يكن أسدًا جائعًا .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- الأسد لا يقتل أبدًا ، إلا إذا جاع يا (نور)(*) .

سأله (نور) فى حيرة :

- ربما هو نمر مثلا .

(*) حقيقة .

عاد الدكتور (حجازى) يهز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لو أنه نمر ، فلن يتوقّف بعد تمزيق ضحاياه ، إذ أن رائحة الدم تثير وحشيته وشراسته على نحو عنيف ، ومذاق الدم يدفعه إلى نهش ضحيته ، والتهامها فى شراهة ، حتى ولو لم يكن جائعًا(*) .

ألقى (نور) نظرة أخرى على الجثة ، على الرغم من بشاعتها ، وسأل فى توتر :

- ما الذى فعل هذا إذن ؟

تنهّد الدكتور (حجازى) ، مجيبًا :

- حيوان آخر يا (نور) .. حيوان مجهول ، لم نعهد مثله من قبل .. حيوان يمزّق ضحيته لمجرّد التمزيق ، أو طاعة لأوامر سيّده ..

وانعقد حاجباه ، مع استطرادته :

- حيوان له أنياب يا (نور) .. أنياب ومخالب .

وقفز عقل (نور) مباشرة إلى فكرة عجيبة .. عجيبة ومخيفة ..

★ ★ ★

«ولكن هذا مستحيل يا (نور) !.. »

(*) حقيقة .

نطقت (سلوى) العبارة فى دهشة، وهى تتطلّع إلى (نور) الذى نقل إليها مخاوفه، فلوّح بكفه، وهو يقول فى حزم:

- لا يوجد مستحيل ... كل شىء ممكن فى عالمنا يا (سلوى).

قالت فى قلق:

- ولكنك أكدت لى أن (ليدر)، قائد (لانتس) قد سجن داخل عالمه، بعد أن نسفت بنفسك البوّابة الوحيدة، التى يمكن أن تقود إلى الأرض المفقودة، والتى يحتاج بناؤها إلى طاقة هائلة، لا يمكن الحصول عليها مرة أخرى(*).

عقد (نور) حاجبيه فى شدة، وهو يقول:

- ولكن الدلائل كلها تشير إليه على نحو ما .. لقد راجعت بنفسى ملف الجرائم، فى الآونة الأخيرة، وعلمت أنه وقعت جريمة غامضة فى مطار خاص، بالقرب من (مرسى مطروح)، وذهب ضحيتها حارس شاب، مزّقته أنياب مفترسة ومخالب حادة، ولقد أكّد تقرير الطب الشرعى هناك أن الأنياب حادة وطويلة للغاية، والمخالب أكثر ضخامة من مخالب الذئاب، ثم أن جثة الشاب المسكين تم تمزيقها على نحو بشع، إلا أن الحيوان الذى فعل هذا لم يلتهم من الجثة قطعة واحدة.

هتفت:

- تمامًا كما حدث لرجال أمن البنك!

أشار (نور) بسبّابته، قائلاً:

- وفى هذه المرة، اقترن الحادث بجريمة سرقة، والشىء المسروق هو طائرة خاصة صغيرة، تسع عددًا قليلاً من الركّاب، ولقد تم العثور على تلك الطائرة فى منطقة غير مأهولة، بالقرب من أطلال (القاهرة) القديمة.

بدأت نظريته فى التسلل إلى أعماقها، فتمتمت فى قلق:

- الواقع يا (نور) ..

ولكن (نور) تابع فى حماس، دون أن ينتبه إلى مقاطعتها الخافتة:

- ثم أن التدمير والتفجير، ونسف الجدار وباب الخزانة، كلها تشبه ما يمكن أن تحدثه كرات الطاقة الأرجوانية، التى يستخدمها (ليدر)، هذا إلى جوار تلك الأنياب والمخالب .. ألا يشير هذا إلى (الميناروس)، .. ذلك الحيوان الذى عثرنا على نصفه فى الصحراء، عندما بدأت قضية الأرض المفقودة ؟!

(*) راجع قصة (الأرض المفقودة) .. المغامرة رقم (١٠٣).

صمتت (سلوى) قليلاً ، محاولة هضم الموقف كله ، ثم هزّت رأسها ، قائلة :

ـ تفسيرك يبدو منطقيًا للغاية يا (نور) ولكن ..

سألها فى اهتمام ، عندما لاحظ تردُّدها :

ـ ولكن ماذا ؟!

عادت إلى صمتها لحظة ، وبدا التردُّد أكثر وضوحًا فى ملامحها ، قبل أن تحسم رأيها ، وتندفع قائلة :

ـ ولكنه يفتقر إلى دليل ... دليل مادى واحد .. أو حتى دليل معنوى .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

ـ نعم يا (سلوى) ... أنت على حق .. الأمر يحتاج إلى دليل .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حسم :

ـ دليل واحد .

وأدركت (سلوى) لحظتها أن (نور) قد اتخذ قرارًا حاسمًا ، وأن هذا يعنى أنه سيفترق طويلاً عن صديق وفى ، لا يمكن الاستغناء عنه قط ..

عن النوم ..

★ ★ ★

تجاوزت عقارب الساعة منتصف الليل ببضع دقائق ، وهبط الصمت مع السكون ، على تلك البقعة الهادئة ، فى أطراف العاصمة الجديدة ، فبدت أشبه بصورة ضوئية ثابتة ، تبدو فى طرفها لافتة صغيرة ، تشير إلى أحد المخابئ النووية القديمة ، التى لم تعد مستخدمة فى ذلك العصر ..

ومن مدخل ذلك المخبأ القديم ، بدأت الحركة فى المشهد الساكن ..

بدأت برجل نحيل طويل ، غادر المخبأ فى بطء ، وهو يقود حيوانين ضخمين لهما ذلك القرن الحاد الطويل فى منتصف الجبهة ، وتلك الأنياب والمخالب الحادة القاتلة ..

وفى هدوء ، اتجه الرجل بالحيوانين نحو سيارة عادية ، تنتظر على مقربة ، فأشار إلى الحيوانين ، قائلاً فى صوت مخيف :

ـ (ألفا) .. (بيتا) .

استجاب الحيوانان لندائه ، وقفزا داخل السيارة ، فأغلق الباب خلفهما فى هدوء ، ثم اتخذ مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة فى هدوء ، يقطع طرقات وشوارع العاصمة ، حتى بلغ أحد المبانى الضخمة ، التى حملت لافتة تقول : « مركز المعلومات الرئيسى » ، فتوقّف ، وهبط من السيارة ، وفتح بابها الخلفى ، قائلاً بلهجته الآمرة :

ـ (بيتا) .

بقى أحد حيوانى (الميناروس) داخل السيَّارة، فى حين قفز الثانى مستجيبًا لنداء سيِّده، الذى دار حول المبنى فى هدوء، حتى بلغ بابه الخلفى، فطرقه فى هدوء، ووقف ينتظر، حتى أضىء مصباح صغير أمامه، وانبعث صوت يقول:

- أمن مركز المعلومات الرئيسى .. العمل يبدأ فى السابعة صباحًا، وينتهى فى التاسعة مساءً .. نشكركم للاستجابة، ونعدكم بتقديم كل الخدمات الممكنة لكم فى مواعيد العمل الرسمية.

ثم انطلق أزيز متقطِّع، قبل أن يتابع صوت كمبيوتر الأمن:

- فى حالات الطوارئ، وخدمات المعلومات العاجلة، نرجو التفضّل بإبراز بطاقة الأمن الخاصة..

أخرج النحيل من جيبه جهازًا صغيرًا، جذب منه شريطًا معدنيًا محدودًا، دسّ طرفه فى الفراغ الخاص ببطاقات الأمن، فأصدر الفراغ صفيرًا محدودًا، قبل أن يقول كمبيوتر الأمن.

- بطاقة سليمة .. يمكنك الدخول.

وانفتح الباب الخلفى فى بطء، ليكشف ممرًا قصيرًا، وقف فى نهايته اثنان من رجال أمن المركز، وهمّ أحدهم برسم ابتسامة تقليدية على شفتيه، وهو يستعد لقول عبارة استقبال معتادة، إلا أن بصره وقع على وجه النحيل، وعلى (الميناروس) خلفه، فاتسعت عيناه فى هلع، فى حين هتف زميله فى ارتياع:

- ما هذا بالضبط؟

ولم يكد ينطقها، حتى أطلق (الميناروس) زمجرة قصيرة..

وانقضّ..

كان الممر بطول ستة أمتار، قطعها (الميناروس) بقفزة واحدة، لينقضّ على أحد الرجلين، وينشب فى جسده أنيابه ومخالبه بلا رحمة، قبل أن يستلّ سلاحه، فتراجع زميله فى رعب، وهو ينتزع مسدسه، صائحًا:

- اتركه .. اتركه أيها الوحش.

استدار ليصوِّب مسدسه إلى (الميناروس) وزميله يطلق صرخات مختنقة، مملوءة بالألم والرعب والعذاب، ولكن يد النحيل قبضت على معصمه فى قوة، وهو يقول بصوته العميق المخيف، وبلغة عربية ذات لكنة عجيبة:

- لن تفلح.

انتفض جسد الحارس فى رعب، وتساءل فى ارتياع، كيف نجح ذلك النحيل فى الوصول إليه، عبر الأمتار الستة، دون أن يشعر به..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، طارت كل التساؤلات من ذهنه تمامًا ..

طارت مع الألم الهائل ، الذى اجتاح كيانه كله ، عندما لوى النحيل معصمه فى قوة مباغتة ، فانكسرت عظامه بصوت مسموع ، وصرخ فى ألم ..

ـ لماذا ؟!.. لماذا تفعل هذا ؟

كان (الميناروس) قد مزّق ضحيته الأولى ، واستدار ينتظر أوامر سيّده ، بالنسبة للضحية الثانية ، إلا أن (ليدر) سأل الحارس فى صرامة مخيفة :

ـ كيف يمكن فتح مراكز المعلومات البالغة السرية ؟

هتف الحارس :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. مستحيل !

لم يكد ينطقها ، حتى أدار النحيل الذراع فى عنف ، فانكسر مرفق الحارس ، الذى أطلق صرخة هائلة ، وانهار بألم رهيب ، وهو يصيح :

ـ أيها المجرم .. أيها الحقير .

كرّر (ليدر) سؤاله فى صرامة أشد :

ـ كيف يمكن فتح مراكز المعلومات بالغة السرية ؟

لهث الحارس المسكين ، من شدة الألم والعذاب ، وأدرك جيدًا أنه لن يستطيع احتمال المزيد ، مع خصم شديد القسوة والضراوة كهذا ، فهتف فى صوت أقرب إلى البكاء ، وآلام مرفقه ويده تتصاعد فى كيانه كله :

ـ يوجد صندوق خاص بأزرار التحكم ، ولكن يحتاج إلى شفرة سرية خاصة .

سأله (ليدر) :

ـ وما هى ؟

أجاب الحارس منهارًا :

ـ إنها ليست شفرة رقمية .. إنك تحتاج إلى بصمة راحة مدير المركز أو نائبه .. الراحة اليمنى .. هذا وحده يفتح صندوق التحكم ، وأية محاولة أخرى ستمسح الذاكرة الرئيسية ، ويستحيل الدخول إلى الذاكرة السرية .

صمت (ليدر) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ أين الصندوق ؟.. وأين يسكن المدير أو نائبه ؟

هتف الحارس :

ـ الصندوق فى الخزانة الداخلية ، والمدير ليس هنا .. إنه فى (أوروبا) ؛ لحضور مؤتمر عن نظم المعلومات السرية ، أما نائب المدير فهو يقيم على مسافة كيلو متر واحد من هنا .

قال (ليدر) فى صرامة شديدة :

ـ العنوان .. أريد العنوان .

ألقى إليه الحارس العنوان ، بعبارات تتأوّه ألمًا ، ولم يكد ينتهى ، حتى دفعه جانبًا فى قسوة ، وهو يقول :

ـ هذا يكفينى .

ثم أشار إلى (الميناروس) ، مستطردًا :

ـ إنه لك .

زمجر (الميناروس) ، وهو يلتفت إلى ضحيته الثانية ، فصرخ الحارس فى رعب :

ـ لا .. لا .. لقد أخبرتك بكل ما تريده .

ولكن (ليدر) استدار فى هدوء ، وترك (الميناروس) من خلفه ، ينقضّ على الحارس المسكين ، ويمزّقه فى وحشية ، غير مبال بمقاومته وصراخه ..

لقد كانت هذه فى رأيه هى البداية ..

بداية ليلة جديدة من ليالى العنف ..

والشر ..

★ ★ ★

تثاءب الدكتور (محمد حجازى) فى إرهاق ، وهو يستقبل (نور) ، داخل مبنى (مركز المعلومات الرئيسى) فى الثانية صباحًا ، وقال :

ـ أهلاً يا (نور) .. يبدو أن ذلك القاتل المجنون سيحرمنا النوم طويلاً ، ما دام يصرّ على العمل دومًا فى الظلام ، وبعد منتصف الليل .

سأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا حدث هذه المرة يا سيّدى ؟

تنهّد الدكتور (حجازى) وهو يقول :

ـ جريمة سرقة وقتل جديدة يا (نور) .. وفى هذه المرة أيضًا ، اقترن الأمر بتمزيق بشع لرجال الأمن ، عن طريق أنياب ومخالب حادة رهيبة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ وكيف بلغتهم تلك الأنياب والمخالب ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه فى حيرة متوترة ، وهو يجيب :

ـ الحارسان سمحا لها بالدخول .. لقد راجع رجال المعمل الجنائى التقرير الإليكترونى للبوّابة ، ووجدوا أن شخصًا ما استخدم بطاقة أمن غير دقيقة ، واستطاع بها إقناع كمبيوتر الأمن بفتح الباب الخلفى للمبنى ، ومنه انقضّ ذلك الحيوان العجيب ، ومزّق ضحيتيه .

قال (نور) فى توتر :

ـ ولكن لماذا يقتحم بعضهم مركز المعلومات الرئيسى؟!.. إنك تستطيع الحصول على أية معلومات تنشدها ، عن طريق هاتف الفيديو ، باشتراك بسيط للغاية .

أشار الدكتور (حجازى) بيده ، قائلاً :

ـ هل نسيت المعلومات باللغة السرية يا (نور) ؟

تسلّل القلق إلى نفس (نور) ، وهو يقول :

ـ ولكن الحصول على مثل هذه المعلومات ليس يسيرًا يا دكتور (حجازى) .. إنه يحتاج إلى معرفة الموضع السرى لصندوق التحكُم ، ثم إلى بصمة راحة مدير المركز أو نائبه .

بدا الأسف على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يلتقط علبة طبية كبيرة ، قائلاً :

ـ من الواضح أن المقتحم قد توصّل إلى هذا يا (نور) ، لسوء حظ نائب المدير المسكين .

ردّد (نور) فى توتر شديد :

ـ لسوء حظه ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسى :

ـ نعم .. لسوء حظه .

وفتح العلبة الطبية أمام عينى (نور) ، اللتين اتسعتا فى شدة ، واشتركتا مع شفتيه فى ارتجافة عنيفة ، وهو يتراجع فى حركة حادة ..

فهناك ..

فى قلب العلبة الطبية ..

كانت تستقر مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

وبشعة .





٣ ـ الأهوال ..

انحدرت دمعة ساخنة من عينى (مشيرة) ، وهى تمسح على رأس زوجها (أكرم) بيدها فى حنان ، وتسأل طبيب وحدة الحالات الخاصة فى حزن :

ـ هل تعتقد أنه سيستعيد وعيه قريبًا ؟

تنهَّد الطبيب ، وهو يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه منحك جوابًا شافيًا ، من الناحية العلمية يا سيِّدتى ؛ فالفحوص الطبية كلها لا تشير إلى وجود أى خلل فى خلايا مخه ، أو فى مراكزه الحيوية ، وهذا يعنى أن غيبوبته ليست دائمة على الأرجح ، وكل ما يمكننا عمله الآن هو أن نقدِّم له العلاج اللازم ، حتى لا تصاب عضلاته بالارتخاء ، أو يحدث ارتشاح فى رئتيه ، أو ...

قاطعته فى حدة :

ـ أو يصاب بشلل دائم .

صمت الطبيب لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

ـ كل شىء محتمل يا سيِّدتى .. كل شىء .

انهمرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تقول :

ـ لا .. لن يمكننى احتمال هذا .

تساقطت دموعها على وجه (أكرم) الفاقد الوعى ، فأسرعت تلتقط منديلاً ورقيًا من حقيبتها ، وهمَّت بمسحها ، ولكن الطبيب هتف بها :

ـ كلاَّ .. اتركى هذا لنا .

وضغط زر استدعاء الممرِّضة ، وهو يستطرد مفسرًا موقفه :

ـ فى مثل هذه الظروف ، من الأفضل أن نستخدم أنسجة معقَّمة .

تراجعت بمنديلها ، وهى تراقب دموعها ، التى انحدرت على وجه (أكرم) ، وتجمَّعت فى ركن شفتيه ، وانعكست عليها أضواء الحجرة ، فى حين مطّ الطبيب شفتيه فى ضجر ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة صباحًا ، ويتساءل عن تلك المذيعة الشهيرة ، التى تأتى لزيارة زوجها فى أوقات عجيبة ، بعد أن تنتهى من عملها ، وتنهَّد بصوت مسموع ، وكأنما يحاول نقل شعوره إليها ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها الممرِّضة ، فأشار إلى (أكرم) ، وقال :

ـ امسحى وجهه .

استخدمت الممرضة نسيجًا معقمًا لمسح وجه (أكرم) في حين جففت (مشيرة) دموعها بمنديلها ، مغمغمة :

ـ كم أشتاق إليك يا (أكرم) .. كم أشتاق إليك يا حبيبي .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى دوى انفجار عنيف في الطابق السفلي ، ارتجت له جدران الحجرة ، فهتف الطبيب :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. هل اشتعلت الحرب هنا ؟

أما (مشيرة) ، فقد انعقد حاجباها في شدة ، واندفعت نحو النافذة الزجاجية ، وخفق قلبها في عنف ، عندما شاهدت حيوانًا رهيبًا يمزّق أحد حرّاس الأمن ، أمام مدخل المستشفى ، فتراجعت في ارتياع ، هاتفة :

ـ ربّاه !.. ربّاه !

أسرع الطبيب والممرضة بدوريهما إلى النافذة ، لرؤية ما حدث ، وأطلقت الممرضة صرخة رعب للمشهد ، في حين هتف الطبيب :

ـ ما هذا ؟.. ما هذا ؟.. ماذا يحدث هنا ؟!

أما (مشيرة) ، فمع دقّات قلبها المذعورة ، صرخ صوت ما في أعماقها ، بأن زوجها (أكرم) هو المقصود من هذا الهجوم ..

هو الضحية التالية ، لأنياب ومخالب ذلك الحيوان الرهيب ..

وبلا تردّد ، اندفعت تصرخ :

ـ لابد وأن ننقل (أكرم) بعيدًا عن هنا .

حدّق الطبيب في وجهها ، قائلاً في ذهول :

ـ بعيدًا عن هنا ؟!.. ولكن هذا مستحيل يا سيّدتي !!.. إنه داخل حجرة رعاية خاصة ، ويحتاج إلى أجهزة مراقبة القلب والمخ ، و ...

صاحت تقاطعه في غضب :

ـ لست أظنه يحتاج إلى كل هذه الأجهزة ، لو فقد حياته كلها .

تراجع هاتفًا في ذعر :

ـ حياته .. هل تعنين أن ...

قفزت إلى سرير زوجها ، وجذبته في قوة ، صائحة :

ـ أعني أنه ليس لدينا خيار .. لابد وأن يتمّ نقله إلى مكان آخر .. لابد .

تردّد الطبيب لحظة ، ثم صاح بالممرضة :

ـ انقلي جهاز التغذية .. أسرعي .

تعاون الثلاثة في انتزاع كل ما يغوص في شرايين (أكرم) ويلتصق بجسده ، ثم دفعه الطبيب مع (مشيرة) ، والصرخات المنبعثة في الطابق السفلي مباشرة تبلغ مسامعهم ، وتثير في أعماقهم رعبًا بلا حدود ، قبل أن يهتف الطبيب :

- سنحاول نقله إلى الطابق الثالث ، فوقنا مباشرة .. هناك مخزن للمفروشات ، يمكننا وضعه فيه مؤقتًا ، حتى تتضح الصورة .

انتفضت الممرضة فى رعب ، وهى تقول :

- لن يمكننى الذهاب معكما .. لن يمكننى هذا .

لم يحاول أحد إقناعها بالعدول عن رأيها ، وهما يدفعان السرير أمامهما ، ويعدوان خارج الحجرة ، وعبر ممر القسم ، وزمجرة حيوانى (الميناروس) تقترب من الطابق ، مصحوبة بصرخات رعب وألم هائلة ..

وكادت (مشيرة) تنهار ، وهى تهتف :

- أنقذه .. أنقذه يا إلهى !

كانت تعدو مع الطبيب بأقصى سرعتهما ، ودفعا فراش (أكرم) داخل مصعد العمليات الجراحية الكبير ، ولم يكد بابه يُغلق خلفهما ، حتى برز (ليدر) من بداية الطابق ، وحوله حيوانا (الميناروس) ، وهما يطلقان زمجرتهما المخيفة ، وتبعاه إلى قسم الرعاية الخاصة ، وإلى الحجرة التى كان يحتلها (أكرم) بالذات ، ولم يكد (ليدر) يقتحمها ، حتى أطلقت الممرضة صرخة رعب هائلة ، والتصقت بالجدار ، فزمجر الحيوانان ، فى حين تفجّر غضب رهيب فى عينى (ليدر) وهو يتطلّع إلى مكان الفراش الفارغ ، والتفت إلى الممرضة ، يسألها فى حدة :

- أين ذهب ؟

كادت تسقط فاقدة الوعى ، وهى تشير بأصابع مرتجفة ، هاتفة فى رعب بلا حدود :

- لقد .. لقد هربا به .. أنا لم أعاونهما .. أقسم لك .

زمجر الحيوانان مرة أخرى ، فكاد قلبها يتوقّف من شدة الرعب ، وهو يسألها فى غضب ثائر :

- وأين ذهبا به ؟

بكت فى انهيار ، وهى تجيب :

- إلى مخزن المفروشات ، فى الطابق الثالث .. سيخفيانه هناك .. أقسم لك إنها الحقيقة .. أقسم لك .. أقسم لك .

قالتها وهوت فاقدة الوعى ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها (ليدر) ، فى غضب هادر ، واندفع إلى السلم مع حيوانيه الرهيبين ، وقفز درجاته وهما يتبعانه بزمجرة مخيفة ، حتى بلغوا الطابق الثالث ، الذى خلا من البشر ، بعد الرعب الشديد ، الذى انتشر فى المستشفى كله ، فاندفع (ليدر) يبحث عن مخزن المفروشات ، وما أن عثر عليه ، حتى أخرج كرته الأرجوانية من جيبه ، وصوّبها إلى بابه ، وضغط جانبيها ..

وانطلقت الصاعقة ..

وفى نفس اللحظة ، التى انفجر فيها باب المخزن ، وانسحق تمامًا ، اندفع النحيل ووحشاه إلى المخزن ..
وكانت لهم السيطرة ..
السيطرة الكاملة ..

★ ★ ★

قاوم (نور) بشدة ذلك الغثيان العنيف ، الذى يعتصر معدته ، ويكاد يدفعها عبر حلقه ، وهو يسأل الدكتور (حجازى) فى توتر شديد :

ـ هل قطعوا يد نائب المدير ، ليطبعوا بصمة راحتها على الصندوق فحسب ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ ولقد أفلحت طريقتهم الوحشية يا (نور) ، فاليد المقطوعة لم تكن قد فقدت الدفء بعد ، عندما ألصقها الفاعل بشاشة الأمن فى الصندوق ، وقامت الشاشة بفحص بصمات اليد كلها ، وتوزيع المسام العرقية عليها ، ثم تأكدت من أنها يد أحد الرجلين ، المسموح لهما بالتعامل مع المعلومات باللغة السرية ، وهنا انفتح عالم الأسرار على مصراعيه ، دون أدنى مقاومة .

قال (نور) فى امتعاض ، وهو يُغلق الصندوق :



فى نفس اللحظة التى استدار فيها (ليدر) ، فى غضب هادر ،

ـ ولكن هذا وحده لا يكفى يا دكتور (حجازى) .. لابد من معرفة الكود السرى أيضًا .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه متفهمًا ، ومطَّ شفتيه فى أسف ، مجيبًا :

ـ أعلم هذا يا (نور) ، ولقد قطعوا يد نائب المدير وهو حى ، ليجبروه على الإفصاح بالكود السرى ، ولا يمكننا اتهام الراحل المسكين بالخيانة أو بالضعف ، لأنه أفصح لهم به ، فلا أحد يمكنه احتمال عذاب كالذى رآه ، قبل أن تمزّقه الأنياب والمخالب بلا رحمة ، ولا تتركه إلا جثة هامدة مشوّهة .

هزّ (نور) رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا للمسكين !

ثم أضاف فى توتر شديد :

ـ ولكن كشف المعلومات باللغة السرية أمر رهيب يا دكتور (حجازى) .. إنه يجعل خصومنا على علم بكل أسرار الدولة ، وكل منشآتها الدفاعية السرية .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ يا إلهى !.. من الضرورى إذن أن يتم تغيير كل هذا يا (نور) ، أو وضع حراسة مكثفة مضاعفة ، على كل منشأة سرية منها .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ أمر عسير يا دكتور (حجازى) .. عسير أكثر مما تتصوّر .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ ولكنه ليس مستحيلاً .

التقى حاجبا (نور) فى حزم ، وهو يؤيده ، قائلاً :

ـ لا يوجد مستحيل ، فيما يتعلّق بأمن وسلامة الوطن يا سيِّدى .

لم يكد ينطقها ، حتى اندفع نحوه أحد رجال الأمن ، وهو يقول فى توتر :

ـ سيادة المقدّم .. هناك استدعاء عاجل من المستشفى المركزى .. لقد تعرّضوا لهجوم رهيب هناك ، من رجل واحد .

انتفض جسد (نور) بأكمله ، وهو يهتف :

ـ رجل واحد ؟!

ودون أن يضيف حرفًا إضافيًا ، أو يعتذر للدكتور (حجازى) ، انطلق يعدو مغادرًا المكان ، ووثب داخل سيارته ، وانطلق بها كالصاروخ ، وقلبه يخفق فى عنف ..

كان يعلم أن هذا الهجوم يستهدف (أكرم) ..

و(أكرم) بالتحديد ..

ولكن كل ما يتمناه هو أن يصل فى الوقت المناسب ، قبل أن ينجح الهجوم ، ويظفر بالهدف ..

بـ (أكرم) ..

★ ★ ★

اقتحم (ليدر) مخزن المفروشات مع وحشيه ، ونجح فى السيطرة عليه من اللحظة الأولى ..

ولكن الغضب اشتعل فى أعماقه أكثر وأكثر ..

لقد سيطر على مخزن خال ..

خال تمامًا ..

وفى ثورة ، وبلغته الغريبة ، التى لا مثيل لها فى كوكب الأرض كله ، صرخ :

ـ لا .. لن يخدعونى أبدًا .

ثم استدار كثور هائج ، وصاح :

ـ (ألفا) .. (بيتا) .. سنقلب المبنى كله بحثًا عنه .. لقد أقسمت أن أنتقم ، و(ليدر) لا يحنث بقسمه قط .

اندفعوا خارج المخزن ، وانطلقوا فى ممرات المستشفى ، و(ليدر) يصرخ :

ـ أين أنت !.. أين اختفيت ؟

ومع صرخته ، دوى صوت أبواق سيارات الشرطة ، التى تندفع إلى المكان ، فانعقد حاجباه فى غضب هادر ، وأخرج كرته الأرجوانية ، قائلاً :

ـ الأمر يتكرَّر فى كل مرة .

ثم أشار إلى وحشيه ، مستطردًا :

ـ هيا يا (ألفا) .. هيا يا (بيتا) .. سنغادر هذا المكان اللعين .

وفى غضب ، هبط مع الحيوانين فى درجات السلّم ، واستعدَّ لمواجهة جديدة مع قوات الأمن ...

مواجهة عاصفة ..

أو قل للدقَّة ..

صاعقة ..

★ ★ ★

صكت الانفجارات مسامع (نور) ، وهو ينطلق بسيارته إلى المستشفى ، فخفق قلبه فى عنف ، وهتف :

ـ ربَّاه !.. (أكرم) .

كان ينطلق بأقصى سرعة تسمح بها قوانين السير ، فى قلب المدينة ، إلا أن سماع الانفجارات جعله يتجاوز حدود السرعةَ ، ويثب بسيارته إلى الإفريز ، ويقطع طريقًا عرضيًا ، ليختصر المسافة ، ثم ينطلق نحو

المستشفى ، مستخدمًا الصواريخ النفّاثة ، الغير مسموح باستخدامها داخل المدن ..

ثم رأى السيارة التى تنطلق نحوه ..

كانت سيارة عادية المظهر ، إلا أنها تنطلق بسرعة رهيبة ، وكأنها تفرّ من شيء ما ..

وعلى الرغم من السرعة الخرافية ، التى التقت بها السيارتان ، والتى تبلغ ضعف سرعة كل منهما تقريبًا ، وهما تتقابلان منطلقتين فى اتجاهين متعاكسين ، إلا أن (نور) استطاع أن يلمح السائق ..

وخفق قلبه فى عنف أكثر ..

لقد كانت مخاوفه كلها صحيحة ..

إنه (ليدر) ..

قائد أمن (لانتس) ، الذى تصوّر الجميع أنه سُجنَ داخل أرضه المفقودة إلى الأبد (*) .

(ليدر) الذى عاد مع وحشين من وحوشه الرهيبة ..

عاد لينتقم ..

وفى نفس اللحظة ، التى لمح فيها (نور) خصمه ، كان من الطبيعى أن يلمحه الخصم أيضًا ..

وصرخ (ليدر) ...

(*) راجع قصة (الأرض المفقودة) ... المغامرة رقم (٣٠)

صرخ صرخة أودعها كل غضبه ، وثورته ، وشرّه ، ورغبته المخيفة فى الانتقام ..

صرخة مجنون ..

ومع الصرخة ، ضغط فرامل السيَّارة ، ودار بها حول نفسها ، فوق وسادة من الهواء المضغوط ..

وفى نفس اللحظة ، كان (نور) يستدير لمواجهته بالوسيلة نفسها ..

وعندما أصبحت السيارتان فى مواجهة بعضهما ، صرخ (ليدر) ثانية ، وضغط دواسة وقود سيارته بكل قوته ..

وانطلق نحو (نور) مباشرة ..

ولجزء من الثانية ، أدهشت المبادرة (نور) ، ثم لم يلبث أن طرح دهشته جانبًا ، وضغط دوّاسة الوقود ، وهو ينحرف بسيارته بسرعة ، محاولاً تفادى الارتطام ..

ولكن سيَّارة (ليدر) كانت تنطلق كالصاروخ ..

لذا فقد بلغت سيارة (نور) ، قبل أن يفلت هذا الأخير من مسارها تمامًا ..

وحدث التصادم ..

كان تصادمًا عنيفًا ، أصابت فيه مقدّمة سيارة (ليدر) مؤخرة سيارة (نور) التى وثبت فى قوة ، ثم دارت حول نفسها ، وانزلقت بسرعة كبيرة ، قبل أن ترتطم

بحاجز الطريق ، وتعود للقفز ثانية ، ثم تسقط على ظهرها فى عنف ..

وبكل الظفر فى أعماقه ، أطلق (ليدر) صرخة أخرى وحشية ، ثم صاح بوحشيه الرهيبين :

ـ إنه لكما .. مزقاه إربًا .

زمجر الوحشان ، واستعدّا للقفز خارج السيّارة ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى سيّارة (نور) ..

ومع اشتعالها ، عقد (ليدر) حاجبيه ، وبدا عليه الغضب ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن تصاعد من بعيد دوى أبواق سيارات شرطة جديدة تقترب ، فمطّ شفتيه ، وأدار محرّك السيارة مرة أخرى ، قبل أن ينطلق بها مبتعدًا تاركًا سيارة (نور) خلفه تحترق ...

وتحترق ...

وتحترق .

★ ★ ★



٤ ـ العودة ..

لم يتوقّف جسد (مشيرة) عن الارتجاف لحظة واحدة ، طوال الفترة التى استغرقتها منكمشة ، داخل خزانة أدوية ضيقة ، استوعبت فراش (أكرم) بالكاد ، واعتصرت جسد الطبيب فى أحد أركانها ، و(مشيرة) فى ركن الفراش الصغير ..

وفى توتر شديد ، غمغم الطبيب :

ـ أعترف لك بالذكاء وحسن التصرّف يا سيّدتى .. لقد اقتحم ذلك القاتل مخزن المفروشات المجاور لنا بالفعل .. هل سمعت زمجرة الوحشين اللذين يتبعانه ؟!.. لقد تصوّرت لحظة أنه سيكشف مخبأنا ، ويطلقهما لتمزيقنا ، كما فعلا مع رجال الأمن .

لم تستطع (مشيرة) التعليق على حديثه ، مع ارتجافتها العنيفة ، فتمتمت :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

تابع الطبيب فى انفعال :

- ولكن كيف واتتك الفكرة ؟.. هل كنت تتوقعين أن تنهار الممرضة ، وتعترف بالمكان الذى سنخفى فيه زوجك ؟

قالت (مشيرة) فى خفوت :

- إنها بشر .

وصمتت لحظة ، قبل أن تتابع :

- ولو أننى فى مكانها ، لمتّ فزعًا أمام ذلك الشرير ووحشيه .

تنهّد الطبيب ، وأومأ برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- نعم .. إنها بشر .

ثم حاول أن يلتقط نفسًا عميقًا ، على الرغم من طرف الفراش ، الذى يضغط على بطنه ، وقال فى توتر واضح :

- هل تعتقدين أنه انصرف الآن ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- لست أدرى .. لقد سمعت انفجارات عديدة فى الخارج ، بعد دوى أبواق سيارات الشرطة ، وربّما ..

ولم تكمل عبارتها ..

ربما لأنها شعرت أن المعنى المقصود أكثر وضوحًا من أن يتم التصريح به ..

أو لأنها عجزت عن إكمالها ..

المهم أن الطبيب فهم ما تبغيه ، وقال فى قلق ، وهو يفحص نبض (أكرم) :

- أرجو أن يكون قد رحل بالفعل ، فمن الخطأ أن يبقى زوجك بعيدًا عن غرفة الرعاية الخاصة لفترة طويلة .

خفق قلبها فى هلع ، وهى تلتفت إلى (أكرم) ، هاتفة :

- حقًا ؟!

ألقى الطبيب نظرة على ساعته ، وهو يجيب متوترًا :

- نعم .. لقد فقدنا ربع الساعة هنا ، ولو أننا أسرعنا بإعادته إلى حيث أجهزة التغذية والرعاية ، فربما ..

صرخت :

- ربّما ؟!... تقول ربما ؟!

ودفعت باب خزانة الأدوية بقدمها ، وهى تجذب فراش (أكرم) خارجها ، هاتفة فى انفعال :

- لا تضيع لحظة واحدة إذن .. دعنا نعيده إلى هناك بأقصى سرعة .. هيا .. أسرع بالله عليك .

أمسك الطبيب الفراش بكل قوته ، وهو يشعر بالارتياح ؛ لخروجه من ذلك الركن الضيق ، ولم يكد يدفعه أمامه ، حتى سمع صوتًا يقول :

- لا داعى للإسراع .

وانتفض جسدا الطبيب و(مشيرة) فى عنف ، وهما يحدقان فى مصدر الصوت ..

فقد كانت أمامهما مفاجأة ...

مفاجأة مدهشة ..

★ ★ ★

« سيّارة تحترق .. »

هتف أحد رجال الشرطة بالعبارة ، وسياراتهم تقترب بسرعة من ذلك الموقع ، الذى اشتعلت فيه سيارة (نور) ، فضغط قائدهم زر الاتصالات الداخلية ، وهو يقول لرجاله :

ـ واصلوا جميعًا طريقكم إلى المستشفى ، واعملوا على إعادة النظام والأمن هناك ، وسأتوقّف بسيارتى هنا ، فى محاولة لإنقاذ ركّاب السيارة المشتعلة ، لو أمكننا هذا .

أطاعته سيارات الشرطة التابعة ، فى حين انحرفت سيارته نحو سيارة (نور) ، وهو يقول :

ـ ربّاه !.. يبدو أن هذه الليلة لن تنتهى أبدًا .

هتف به أحد رجاله :

ـ هل نتصل بحوّامة الإطفاء ؟!

صاح به رئيسه فى حدة :

ـ ألم تفعل بعد ؟!

توقّفت السيارة على بعد عشرة أمتار من سيارة (نور) ، ولم يكد محركها ينطفئ ، حتى تحطّم زجاج سيّارة (نور) الأمامى ، وبرز هو منه ، وهو يقاتل للخروج من السيّارة ، قبل أن تبلغ النيران خزّان وقودها ..

وفى انفعال ، هتف رئيس الشرطة :

ـ ربّاه !.. إنه حى .. أسرعوا لمعاونته .

ولكن (نور) صاح فى صرامة :

ـ ابقوا بعيدًا .. لا يقترب أحدكم .. السيّارة ستنفجر بعد قليل .

تردّد رجال الشرطة ، مع هذا القول ، فى حين راح هو يجاهد فى عنف ، لتخليص قدمه من حزام مقعده ، الذى اشتبك بها على نحو مُعقّد ، ورئيس الشرطة يكرّر :

ـ هل ستستمعون إليه ؟!.. أسرعوا بمعاونته .

ولكن (نور) صرخ :

ـ أبقوا بعيدًا .. أنا المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية ، وهذا أمر .

حدّق رئيس فريق الشرطة فيه بدهشة كبيرة ، وهو يردّد :

- (نور الدين) ؟!.. من المخابرات العلمية ؟!.. ربَّاه !.. إنه بطل التحرير .. لا .. لا تستمعوا إليه يا رجال .. أنقذوه على الرغم منه .. لن نضحى أبدًا بالرجل الذى أنقذنا من الاحتلال (*) .

استلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وهو يهتف :

- قلت ابتعدوا .

تراجع رئيس فريق الشرطة ، وهو يقول فى ارتياع :

- مستحيل !.. إنه سينتحر .

ومع قوله ، صوّب (نور) مسدسه الليزرى .. وأطلقه ..

وبعيدًا ، فى المستشفى المركزى ، سمع الجميع انفجارًا عنيفًا ..

آخر انفجارات تلك الليلة ، التى بدا وكأنها لن تنتهى أبدًا ، إلا مع بزوغ فجر يوم جديد ..

كان آخر الانفجارات ، و ...

وأكثرها عنفًا ..

* * *

انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وهى تحدّق فى مصدر الصوت ، واتسعت عيناها فى شدة ، وارتجفت

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

شفتاها ، قبل أن تهتف بقلب يكاد يخترق صدرها ، من شدة خفقاته :

- مستحيل !.. أنت .. أنت ..

ارتسمت ابتسامة واهية على شفتى (أكرم) ، وهو يتمتم فى تهالك :

- نعم يا أميرتى .. إنه أنا .. لقد استعدت الوعى .

هتف الطبيب مبهورًا :

- ربَّاه !.. إنها معجزة .

أما (مشيرة) ، فقد تفجَّرت الدموع من عينيها ساخنة ، وهى تلقى نفسها بين ذراعى (أكرم) ، هاتفة :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. كنت أعلم أنك ستستعيد وعيك وستعود إلىّ .. كنت أعلم أننى لن أفقدك أبدًا ..

رفع ذراعيه فى صعوبة ، وضمها إليه فى ضعف ، وهو يغمغم :

- ليس بهذه السرعة يا حبيبتى الصغيرة .. (عمر الشقى بقى) ، كما يقولون فى الأمثال القديمة .

بللت دموعها ابتسامتها ، وهى تقول :

- أما زلت تعشق كل قديم .

ابتسم قائلاً :

- هذا من حسن حظك يا أميرتى ، فكلما تقدمت فى العمر ، سأهيم بك أكثر

ضحكت وهى تحتضنه ، هاتفة :

- يالعباراتك الرقيقة !

قبَّل دموعها بشفتيه ، وتذوَّقها بلسانه ، قائلاً :

- آه .. كانت دموعك إذن .. ما زلت أذكر مذاقها .

قالت فى دهشة :

- تذكر مذاقها ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. إنه حلم عجيب ، راودنى قبيل استعادتى الوعى .. حلم رأيت نفسى فيه داخل قبر عميق مكشوف ، تشقَّقت أرضيته من شدة الجفاف ، ولكن فجأة انهمرت عليه أمطار غزيرة ، بلَّلت وجهى ، وانحدرت حتى شفتىَّ .. وعندما شعرت بمذاقها الملحى ، دبَّ النشاط فى عقلى فجأة ، وكأنها تحوى إكسير الحياة ، وفتحت عينىَّ ، وتطلعت إلى السماء فرأيت وجهك فيها ، يتطلَّع إلىَّ مشفقًا ، ومن عينيك تنهمر تلك الأمطار الشافية .

استمع إليه الطبيب مبهوتًا ، قبل أن يغمغم :

- ربَّاه !.. أى حلم هذا ؟!.. هل كان عقلك ممتلئًا بالنشاط ، حتى فى أثناء غيبوبتك .

التفت إليه (أكرم) ، وتمتم :

- لقد بدأت تتحدَّث مثل (نور) .

لم يكد ينطقها ، حتى برز (نـور) من ركن الممر ، وهتف :

- أين (أكرم) ؟.. أهو بخير ؟

لوَّح (أكرم) بيده فى ضعف ، وهو يبتسم قائلاً :

- أهلاً يا (نور).. ليتنا تذكَّرنا مليونى جنيه .

كان (نور) فى هيئة مزرية ، وقد تمزَّقت سترته ، واحترق جزء من سرواله ، وتهدَّل قميصه على نحو عجيب ، فضحك (أكرم) ، وهو يستطرد :

- ماذا أصابك يا رجل ؟!.. هل خرجت على التو من أعماق الجحيم ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتنهد فى عمق :

- يمكن أن تقول هذا يا صديقى ، فلقد كان الجحيم يلتهمنى بالفعل ، عندما اشتبكت قدمى بحزام المقعد ، وسيارتى تشتعل ، لولا أن أطلقت مسدسى الليزرى عليه ، وقطعته ، وانطلقت أعدو مبتعدًا فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن تنفجر السيارة كلها .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- ربَّاه !.. إذن فالأمر حقيقى يا (نـور) .. ماذا نواجه هذه المرة ؟

لاحظت (مشيرة) صيغة الجمع ، التى استخدمها (أكرم) ، فهتفت فى حدة :

ـ ماذا يحدث بالضبط يا (نور) ؟!.. ما هذه الانفجارات ، التى ارتجّت لها المدينة طوال الليل ؟!.. أهو نوع جديد من الإرهاب أم ماذا ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا (مشيرة) .. إنه نوع جديد بالنسبة للعاصمة .

ثم أدار عينيه إلى (أكرم) ، مستطردًا :

ـ ولكنه ليس جديدًا بالنسبة لنا .

سأله (أكرم) فى اهتمام شديد ، على الرغم من ضعفه وتهالكه :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

وهنا قال الطبيب معترضًا :

ـ لا تخبره بأى شىء أيها المقدّم ، يجب ألا نستثير أعصابه ، فور استعادته لوعيه ، فهو يحتاج إلى ...

قاطعه (أكرم) فى حدة :

ـ لا أحد سيستمع إلى نصائحك الطريفة يا سيادة الطبيب ، فأنا من طراز خاص ، لا يستعيد نشاطه وحيويته إلا مع التوتر واستثارة الأعصاب ، وسأوقّع إقرارًا بهذا ، ليعفيك من المسئولية تمامًا .. هل يرضيك هذا ؟

اتسعت عينا الطبيب فى دهشة مستنكرة ، فى حين التفت (أكرم) إلى (نور) ، وقال وقد استعاد بالفعل الكثير من نشاطه :

ـ هيا يا (نور) .. أخبرنى .. ما الذى يحدث بالضبط ؟

نقل (نور) بصره بين الطبيب و (مشيرة) و(أكرم) ، ثم قال فى حسم :

ـ فليكن يا (أكرم) .. سأخبرك .

وفقد الطبيب كل سيطرته على الموقف ..

★ ★ ★

جلس (أكرم) على طرف فراشه ، وهو يحرّك يديه وقدميه فى بطء ، فى محاولة لاستعادة نشاطه وحيويته ، وأذناه تستمعان إلى (نور) فى اهتمام شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، فتنهّد (أكرم) ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ إذن فقد عاد صديقنا القديم (ليدر) .. يا للّعين !.. كيف وصل إلى هنا ؟!.. ألم نغلق بوّابة عالمه عليه إلى الأبد ؟!.

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ربما كان هناك مخرج طوارئ ، أو شىء من هذا القبيل .. والأرجح أنه مخرج محدود ، وإلا لأتى إلينا

(ليدر) الوغد هذا بجيش كامل ، وعتاد يصعب على جيوشنا كلها التصدّى له .

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :

- لا تنس أنه اصطحب معه وحشين من وحوش (لانتس) .

تراجع (نور) فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

- إنهما ليسا وحشين بالمعنى العلمى للكلمة يا (أكرم) ، فهما يمزقان ضحيتهما ، دون أن يلتهما منها قطعة واحدة .. أعتقد أنهما أشبه بكلاب الحراسة المدرّبة .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وابتسم فى سخرية ، قائلاً :

- لست أظن هذا يصنع فارقًا ، بالنسبة للضحية نفسها يا صديقى ، فالمثل القديم يقول : لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

أجابه (نور) فى هدوء :

- ولكنه قد يصنع فارقًا بالنسبة لنا يا صديقى ؛ فكل معلومة فى عالمنا قد تعنى الكثير ، عندما تحين لحظة مناسبة للاستفادة منها .

لوّح (أكرم) بكفيه ، قائلاً :

بالطبع .. بالطبع .. نسيت أننى أتحدّث إلى (نور) العظيم ، الذى لا تفوته شاردة أو واردة .. إننى أستسلم .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- أنا أيضًا نسيت أننى أتحدّث إلى (أكرم) ، الذى لا يعنيه حدوث انهيار جبلى على رأسه ، إذا ما رغب فى الاستمتاع بقليل من النوم ، عند سفح الجبل .

تطلّع إليه (أكرم) مبتسمًا ، وهو يقول :

- وكيف تعدُّ هذا ؟!.. شجاعة أم حُمْقًا ؟!

رفع (نور) يده ، قائلاً :

- أعفنى من الجواب .

أطلق (أكرم) ضحكة مرحة ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفعت دقات غاضبة على باب الحجرة ، فهتف :

- ادخل يا من بالباب .

دفعت (مشيرة) الباب فى حنق ، وهى تقول :

- هل انتهيتما من حديثكما ؟.. لقد أشرقت الشمس ، والمفترض أن أعود إلى المنزل ، لأحصل على قدر من النوم ، قبل أن أعاود العمل فى الجريدة .

ضحك (أكرم) مرة أخرى ، وهو يشير إليها ، قائلاً :

- هل سمعت كيف تتحدّث إلينا يا (نور) ؟.. أراهنك على أنها تكاد تحترق غيظًا ، لأننا نتحدّث وحدنا ، ونلهب فضولها بكتم أسرارنا عنها .

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

دعابة سخيفة .

ابتسم (نور)، وهو يقول:

- معذرة يا (مشيرة) .. أنت تعرفين القواعد.

أجابته فى عصبية:

- نعم .. أعرفها جيدًا.

وأشارت إلى (أكرم)، مستطردة فى توتر:

- وأعتقد أنها ستنطبق على (أكرم) أيضًا .. هل ستنقلونه إلى مكان آخر لحمايته؟

هتف (أكرم):

- حمايتى ؟!.. ولماذا يحاولون حمايتى ؟.. أنا قادر على حماية نفسى.

أما (نور)، فقال فى هدوء:

- هذا الحديث سابق لأوانه .. ربما نناقشه فيما بعد.

انعقد حاجباها فى حنق، وهى تقول:

- فليكن .. أنتم تعرفون أين أنا، عندما تحين لحظة مناقشة الأمر.

قالتها وصفقت الباب خلفها فى عنف، وتعالى وقع قدميها، وهى تبتعد غاضبة، فقلب (أكرم) شفتيه، وتنهد قائلا:

- لن تغفر لنا أبدًا.

نهض (نور) من مقعده، واتجه إلى النافذة، وهو يغمغم:

- دعها تتعود هذا.

قالها، وهو يتطلع إلى الشمس، التى بدأت رحلة الشروق، وتسللت أشعتها الدافئة إلى الحجرة، وسأله (أكرم):

- قل لى يا (نور): متى يمكننى فى رأيك العودة إلى العمل؟

أجابه (نور):

- إنك لم تقض سوى أيام معدودات فى غيبوبتك يا (أكرم)، والأطباء يؤكدون أنك ستستعيد نشاطك وحيويتك بسرعة، وأنا واثق من أن إرادتك ستفوق أفضل توقعاتهم، ولكن بالنسبة للإدارة، فمن الضرورى أن تجتاز اختبار العودة أولاً.

قالها، وهو يتطلع إلى قرص الشمس، الذى يبث فى أعماقه شعورًا عجيبًا بالارتياح ..

شعور لم يفهم مغزاه، وإن شعر أنه يعنى الكثير .. الكثير جدًا ..

★ ★ ★

جلس (ليدر) صامتًا، داخل ذلك المخبأ النووى، عند أطراف المدينة، يراقب شاشة جهاز كمبيوتر خاص، يختلف كثيرًا عن أجهزة الكمبيوتر المعروفة فى ذلك



وفي بطء ، مال (ليدر) برأسه إلى الأمام ؛ ليعيد

العصر ، وبدت عيناه الغائرتان المخيفتان أشبه بجمرتين ملتهبتين ، وسط الإضاءة الضعيفة داخل المكان ، الذى استلقى حيوانا (الميناروس) فى ركنه ، يلتهمان طعامهما فى صمت ..

وعلى الشاشة الكريستالية لجهاز الكمبيوتر ، تتابعت الرسوم التخطيطية لعشرات المنشآت العسكرية الحيوية ، الموزّعة فى مناطق مختلفة ، حول العاصمة المصرية الجديدة ، و(ليدر) يستعرضها فى اهتمام شديد ..

ثم توقف عند إحداها ..

كانت منشأة خاصة بإنتاج الصواريخ عابرة القارات ..

وفى بطء ، مال (ليدر) برأسه إلى الأمام ؛ ليعيد فحص الرسم ، قبل أن يتراجع مغمغمًا فى خفوت :

- عظيم .. بداية مناسبة .

قالها ، وهو يعنى أن الليلة ستشهد الجولة الأولى فى حربه الخاصة ..

الحرب التى غادر عالمه خصيصًا ليشنها على كوكب الأرض كله ، بدءًا من ذلك الوطن ، الذى يضمّ (نور) و(أكرم) ..

من (مصر) ..

٥ ـ حرب رجل واحد..

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وهو يعيد قراءة التقرير الذى قدّمه له (نور) ، للمرة الثالثة ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلا :

ـ لو أن الأمر كما أشرت إليه يا (نور) ، فهو شديد الخطورة بالفعل .. هل تؤمن حقًا أن (ليدر) هذا يسعى لغزو العالم وحده ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بل هو الذى يؤمن بقدرته على فعل هذا يا سيّدى ، ولقد توعّد العالم كله ، وأعلن أنه يستطيع السيطرة عليه بفرقة صغيرة ، مع عدد مناسب من أسلحة (لانتس) ، التى تعتمد على تلك الطاقة الهائلة المجهولة ، التى يمكن اختزانها داخل أسلحة محدودة ، ذات قوة تدميرية رهيبة .

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـ هل سمعته يقول هذا بنفسك ؟

أجابه (نور) فى حسم :

ـ ليس بالمنطوق نفسه يا سيّدى ، ولكن المعنى لا يختلف كثيرًا .

تنهّد القائد الأعلى ، وتراجع فى مقعده ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول :

ـ وما الذى يمكن فعله فى هذا الشأن ؟.. لقد حصل على الرسوم التخطيطية لكل منشآتنا الأمنية ، وهى تزيد عن ألف منشأة ، ولسنا ندرى إلى أيها سيوجّه ضربته القادمة ، ولا يمكننا فى الوقت ذاته تشديد إجراءات الأمن فيها كلها ، وإلا فلن يكفى جيشنا كله لأداء هذه المهمة .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ إنها مشكلة ضخمة بالفعل يا سيّدى ، وأعتقد أن البحث عن حل مناسب لها ، يحتاج إلى انعقاد مجلس الأمن القومى .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، مغمغمًا :

ـ هذا أيضًا يستغرق وقتًا يا (نور) ، ولا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يفعله بنا (ليدر) هذا ، قبل أن يتخذ المجلس قراره .

سأله (نور) مباشرة :

ـ ألديك حل آخر يا سيّدى ؟

تنهَّد القائد مرة أخرى ، وهو يجيب :

ـ ليس بعد يا (نور) ... ليس بعد .

وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يسأل (نور) :

ـ كيف حال زميلك (أكرم) ؟.. هل استعاد قدرته على المشى ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

ـ بل استعاد نشاطه كله يا سيِّدى .

هتف القائد الأعلى فى دهشة :

ـ بهذه السرعة ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ نعم يا سيِّدى .. فيما مضى ، كان الأمر يحتاج إلى أسبوع على الأقل ، ولكن كل شىء يتطوَّر بسرعة ، فالآن تكفى حقنة واحدة ، ليستعيد الشَّخص نشاطه خلال ساعات محدودة .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، قبل أن يسأل :

ـ وأين هو الآن ؟

أجابه (نور) بسرعة :

ـ يستعد لأداء اختبار الكفاءة يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ عظيم .. أتمنَّى أن ينجح فى اجتيازه ، فالسعى خلف خصم مثل (ليدر) هذا ، مهمة تحتاج إلى فريق من نوع خاص .

ورفع عينيه إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ إلى فريقكما .

★ ★ ★

« انطلق .. »

انبعث ذلك الهتاف ، داخل قاعة التدريبات الرياضية ، فى إدارة المخابرات العلمية ، وقبل أن يتلاشى فى فضائها ، وثب (أكرم) داخل القاعة الواسعة ، وراح يعدو نحو عدد من الحواجز ، قفز ليتخطاها ، ولكنه ارتطم بإحداها ، وسقط معه أرضًا ، فانبعث صوت يقول :

ـ أوَّل خطأ .

عقد (أكرم) حاجبيه فى غضب ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها نحوه كرة صغيرة ، تفاداها فى مهارة ، واستدار يطلق نحوها أشعة مسدسه الليزرى ، ولكنه أخطأ إصابتها ، فدارت حول نفسها ، وأطلقت نحوه شعاعًا رفيعًا ، أصابه بما يشبه الصدمة الكهربية ، فهتف ، وهو يستدير لمواجهة كرة أخرى :

ـ العزة

اندفعت الكرة الثانية ، لتنزلق بين قدميه ، ولكنه أطلق الأشعة نحوها ، ونسفها بدوى مكتوم ، ثم وثب متفاديًا كرة ثالثة ، ورابعة ، وراح يطلق أشعة المسدس الليزرى على الكرات ، التى هاجمته بأعداد أكبر ، وسرعة تتزايد تدريجيًا ، وبمناورات تزداد تعقيداتها فى كل دقيقة ..

وامتلأت نفسه بالحنق ، وهو يخطئ إصابة عشرات منها ، ويتلقى فى كل مرة تلك الصدمات الكهربية المحدودة ، حتى هتف غاضبًا :

ـ لا يمكننى استخدام هذا السلاح السخيف .

قالها ، وألقى المسدس الليزرى أرضًا فى حدة ، فانبعث صوت المدرِّب ، وهو يقول فى صوت ملؤه الضيق :

ـ هذا يكفى .

توقَّفت الكرات على الفور ، وعادت إلى حيث انطلقت ، فى حين نهض (أكرم) قائلاً فى حدة :

ـ أريد مسدسًا عاديًا .. لن يمكننى النجاح أبدًا ، باستخدام هذا الشىء .

خرج إليه المدرِّب ، قائلاً فى صرامة :

ـ المفترض أن تعترف بالهزيمة يا (أكرم) .. إنك لا تستطيع مواجهة الأمر ، فردود أفعالك ، واستجاباتك العصبية لم تعد إلى المستوى المنشود قط .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ خطأ .. لقد خسرت لأننى لم أعتد هذا النوع من الأسلحة قط .. إنه أخفَ مما ينبغى ، ويدى تتحرك بغريزتها ، وسبَّابتى تضغط الزناد فى اللحظة المناسبة ، تبعًا لما تدرَّبت عليه لسنوات طوال ، ولهذا ..

قاطعه المدرِّب :

ـ لا تحاول .. القرار فى مثل هذه الأمور نهائى ، لا يقبل المناقشة .

التقى حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ القرار ؟!.. أى قرار تقصد ؟!

أجابه المدرِّب فى حزم :

ـ القرار الخاص بعودتك إلى العمل يا (أكرم) ... أنا آسف .. لن يمكنك العودة إلى العمل ، فى مثل هذه الظروف .

وتفجَّر القول فى أعماق (أكرم) كالقنبلة ...

لقد خسر وظيفته فى المخابرات العلمية المصرية ..

خسرها للأبد ..

★ ★ ★

مع هبوط الظلام ، أضيئت الكشافات القوية ، فى أسوار مخزن الصواريخ العابرة القارات ، عند أطراف العاصمة ، كما تقتضى التعليمات الجديدة .

وفى انتباه شديد ، جلس فريق الحراسة والمراقبة يتابع شاشات الرصد ، التى تنقل كل ما يحدث ، فى دائرة قطرها كيلو متر كامل ، حول المنشأة ..

وفوق الأسوار ، انتشر عدد من الحرّاس ، يحملون مدافعهم الليزرية ، على النمط القديم ، فى حين يتجوّل مثلهم فى ساحة المبنى ، الذى تحوّل إلى كتلة من الضوء والنشاط ، فى قلب الليل .

وعلى الرغم مما ينبغى أن تمنحه هذه الإجراءات المشدّدة ، من إحساس بالأمن والأمان ، كان الجميع يعملون ويتحركون فى توتر شديد ، لجهلهم طبيعة ذلك الخصم ، الذى تضاعفت من أجله إجراءات الأمن ، على نحو لم يعهدوه من قبل ..

ومضت الساعات بطيئة رتيبة ، والأعصاب مشدودة كأوتار قيثارة حديثة ، تعزف عليها المخاوف لحن قلق ممتد ، لا تألفه آذان القلوب قط ..

ثم فجأة ، دوى الانفجار ..

انفجار أتى دويه من بعيد ، ولكنه لم يكد يحدث ، حتى انطفأت أضواء الكشافات كلها دفعة واحدة ، وران على المكان صمت رهيب ، استغرق جزءًا من الثانية ، قبل أن يهتف قائد الحرس :

- ماذا حدث ؟

أجابه أحد رجال المراقبة فى توتر :

- من الواضح أنهم نسفوا محطة توليد الكهرباء الرئيسية ، أو الكابلات التى تمدنا بالطاقة منها ، فقد انقطع التيار الكهربى تمامًا .. كل الآلات لا تعمل .

صاح القائد فى ذعر :

- كلها ؟!

أجابه الرجل ، وتوتره يتضاعف :

- نعم أيها القائد .. كلها .. كشّافات الإضاءة ، آلات الرصد ، والمراقبة ، والالتقاط الحرارى .. كلها تعطّلت دفعة واحدة .

هتف القائد :

- المولّد الاحتياطى .. أشعلوا المولّد الاحتياطى .

أجاب الرجل فى سرعة :

- إنه يعمل آليًا ، بعد نصف دقيقة من انقطاع التيّار الرئيسى .

قال القائد فى حدة :

- نصف دقيقة كاملة ؟!.. من وضع هذا النظام العقيم .

أجابه الرجل ، وقد بلغ توتره ذروته :

- إجراءات تأمين المنشأة تستهلك طاقة كبيرة ، ونصف الدقيقة ليس بالزمن الكافى لـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار آخر ..

انفجار أكثر عنفًا ، أصاب جزءًا من المنشأة ، وأطاح بطاقم الحراسة عنده ، فصاح القائد :

- استنفار عام .. أطلق الإنذار العام .. هناك هجوم مباشر .

ومع آخر حروف هتافه ، دوى الانفجار الثالث ، الذى أطاح بعدد آخر من الحرّاس ، ومساعد القائد يهتف مذعورًا :

- لقد نسفوا المولّد الاحتياطى .. لا يمكننا إطلاق الإنذار العام .. لا يمكننا حتى أن نضىء مصباحًا واحدًا .

وهنا دوى الانفجار الرابع ..

كان (ليدر) يطلق صواعقه الهائلة من بعيد ، وينسف المنشأة بلا رحمة أو هوادة ، مطيحًا بالأجساد يمنة ويسارًا بلا تردد ، أو وازع من ضمير ..

وعندما أيقن من أنه قد شلّ فاعلية نظم ورجال الأمن إلى حدّ كبير ، برقت عيناه فى وحشية ، وقال فى صرامة :

- (ألفا) ... (بيتا) ... أتمّا المهمة .

زمجر الوحشان فى شىء من الجذل ، وكأنما سرّهما الأمر ، وانقضّا على المكان فى لهفة شرسة عجيبة ، وراحت مخالبهما وأنيابهما تمزّق الأجساد والقلوب المذعورة ، وصواعق (ليدر) تواصل ضرب المكان على نحو مستمر ..

ولم تمض ربع الساعة على الهجوم ، حتى تحوّل المكان إلى أنقاض ، فى حين توقّف (ليدر) أمام المخزن الرئيسى للصواريخ ، وغمغم :

- بداية موفّقة .

ثم أخرج من جيبه قرصًا بيضاويًا ، يتألّق بنفس البريق الأرجوانى ، وألصقه بجدار المخزن ، وعاد أدراجه إلى سيّارته ، ومن خلفه انطلق (ألفا) و(بيتا) ، والدماء تغمر مخالبهما وتسيل من أنيابهما الحادة ..

وقبل أن يرتفع دوى سيارات الشرطة ، كان (ليدر) ينطلق بسيّارته مبتعدًا ، وقد أحاطها بغلاف كهرومغنطيسى خاص ، جعلها تختفى مؤقتًا عن إشارات الرادار والمراقبة ..

أما رجال الشرطة ، فقد وصلوا إلى المكان ، وهتف أحدهم فى ارتياع :

- ربّاه !.. إنها مذبحة .. مذبحة حقيقية .

كانت الجثث متناثرة وسط الحطام والخراب ، والنيران ما زالت تشتعل فى بعض الأركان ، وتتصاعد منها رائحة شواء مخيفة ، وهى تلتهم جثث الضحايا ودماءهم ، فى مشهد مخيف ، شديد البشاعة ، جعل قائد الفرقة يقول فى توتر :

- ما الذى يحدث هنا ؟!.. أى عدو نواجه ؟!.. ما ذلك الشىء الذى يمزّقهم ويمثّل بهم بهذه البشاعة ؟

كان يدير عينيه فى المكان ، عندما اندفع أحد رجاله نحوه ، هاتفًا :

- سيدى القائد .. هناك شىء ما ، يلتصق بجدار المخزن .

التفت إليه قائد الشرطة ، وهو يسأله فى قلق :

- ماذا تعنى بكلمة (شىء ما) هذه ؟

قلب الرجل كفيه فى حيرة ، وهو يجيب :

- أعنى أنه شىء لم أر مثله من قبل قط يا سيدى .

انعقد حاجبا الرجل فى حيرة ، وأشار إليه قائلاً :

- قدنى إليه إذن .

قاده الشرطى إلى ذلك القرص البيضاوى ، ذى البريق الأرجوانى ، فحدق فيه قائد الشرطة لحظات ، ثم استنبط ماهيته بغتة ، فاتسعت عيناه فى هلع ، وتراجع صارخًا فى رجاله :

- انسحبوا .. انسحبوا بأقصى سرعة .

واستدار ، محاولاً الفرار بأقصى سرعة ، ولكن القرص البيضاوى ازداد تألقًا بشدة ، ثم خبا هذا التألق بغتة ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار بالغ القوة والعنف ، ارتجت له العاصمة كلها ،

وأيقظ النائمين ، ليعلن لهم أن (ليدر) قد حقق انتصارًا فى جولته الأولى ...

انتصارًا ساحقًا ..

* * *

انتفض جسد (نور) فى عنف ، مع دوى الانفجار الذى بلغ مسامعه ، وانتزعه من فراشه ، على الرغم من وقوعه على مسافة بعيدة للغاية من منزله ، فأسرع إلى جهاز الاتصال السرى الخاص ، وضغط زره ، وهو يسأل :

- هنا المقدم (نور الدين) .. الكود السرى (ن - و - ٦٠١) ... ما الذى حدث بالضبط ؟.. ما هذا الانفجار العنيف ؟

أجابه الضابط المناوب فى الإدارة :

- لم تصلنا بيانات كافية بعد يا سيادة المقدم ، ولكن الانفجار حدث فى الموقع (ش - ٦٠٠) ، وهناك ثلاث منشآت أمنية فى ذلك الموقع ، لم نعلم بعد أيها تعرضت للهجوم .

لحقت (سلوى) بزوجها ، فى تلك اللحظة ، وسألته فى قلق :

- ماذا حدث يا (نور) ؟

أشار إليها بالانتظار ، وهو يقول للضابط المناوب :

ـ هل تم رصد المنطقة ، فور حدوث الانفجار ؟

أجابه الضابط :

ـ نعم يا سيادة المقدّم .. تم رصدها على الفور ، ولكننا لم نلتقط أية إشارات مثيرة للشك .

صمت (نور) لحظات ، والحيرة تملأ نفسه ، ثم قال :

ـ فليكن أيها الضابط .. أبلغ القيادة أننى سأنتقل إلى الموقع (ش ـ ٦٠٠) على الفور .

أنهى الاتصال ، و(سلوى) تسأله فى قلق أكبر :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟.. ما هذا الانفجار ؟

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

ـ إنه (ليدر) مرة أخرى .. هذا الحقير يواصل الهجوم على منشآتنا الأمنية ، وعلى نحو يجعل من العسير علينا أن نوقع به ، أو نستنتج ضرباته القادمة ، كما أنه يتعامل بذكاء شديد ، والشر الكامن فى أعماقه يتألّق على نحو عجيب ، فى كل عملية من عملياته .

جلست على المقعد المقابل له ، وهى تقول :

ـ ولكن ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟.. لماذا سرق الذهب ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. فى البداية تصوَّرت أنه يريد الحصول على المال ؛ ليستخدمه فى تكوين عصابة خاصة ؛ لخدمة أغراضه الشريرة ، إلا أن الأحداث التالية أثبتت أنه يعمل منفردًا ، ولا يستخدم سوى حيوانى (الميناروس) ، اللذين يمزّقان الضحايا بلا رحمة ، ويثيران قدرًا هائلاً من الفزع ، فى قلب كل من يشترك فى التحقيقات ، على نحو يبدو وكأنه مقصود ، كنوع من الحرب النفسية ، لتحطيم معنويات الخصم .

تراجعت فى حيرة ، وهى تقول :

ـ عجبًا !.. لم أرك حائرًا على هذا النحو قط .

هزّ رأسه ، ونهض إلى النافذة ، مجيبًا :

ـ هذا الرجل يتحرّك بسرعة مدهشة يا (سلوى) ، ويضرب ضرباته فى عنف بغيض ، ثم يختفى بأسرع مما يظهر ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فهبّت (سلوى) واقفة ، وهى تقول :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟

ولكن (نور) لم يجب عن سؤالها ، مع تلك القشعريرة الباردة ، التى سرت فى جسده بغتة فى عنف ..

فهناك..

فى نهاية الحديقة ..

وفى مواجهة النافذة بالضبط ، كان يقف (ليدر) ، وحوله وحشاه المخيفان ، وقرص القمر يضىء من خلفه ، وينشر أمامه ظلاً طويلاً ، امتدّ حتى النافذة نفسها ، وهو يرفع كرته الأرجوانية نحوها ، و ...

ويضغط جانبيها .

★ ★ ★



٦ ـ مواجهة ..

انتفضت (مشيرة) فى فراشها ، مع دوى الانفجار المكتوم ، الذى ارتجَّت له جدران الحجرة ، واعتدلت جالسة فى هلع ، وهى تهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. ماذا حدث يا (أكرم)؟!

استدارت تبحث بعينيها عن زوجها ، وخفق قلبها فى خوف ، عندما لم تجده إلى جوارها ، فنهضت من الفراش ، والتقطت معطفًا منزليًا ، وهى تردِّد فى قلق :

ـ (أكرم) .. أين أنت ؟

خرجت إلى الردهة ، ورأته يقف عند النافذة الكبيرة ، يتطلَّع فى اهتمام إلى وهج النيران ، الذى يصبغ الأفق ، فى تلك الساعة المتأخرة ، فاتجهت إليه فى خطوات قلقة ، وهمست :

ـ هل أيقظك الانفجار ؟

هزّ رأسه نفيًا فى بطء ، وتمتم فى توتر :

ـ لم أنم قط .

لم تحاول أن تسأله عن السبب ، فهى تدرك حجم المرارة فى أعماقه ، منذ تقرَّر عدم عودته إلى العمل ، بعد فشله فى الاختبار ..

وكان قلبها ينفطر من أجله ..

ينفطر ويتمزّق بشدة ، مع صمته المستمر ، وإصراره على كتمان مشاعره فى أعماقه ..

إنها أكثر من يدرك كبرياءه واعتزازه بنفسه ..

وتلك القوة الكامنة فى قلبه ، والتى تسرى فى عروقه ، وتنسج بها خلاياه ..

ولهذا لم تحاول التحدُّث معه فى الأمر ..

لقد تجاوزت الموقف كله ، وسألته .

- ما الذى حدث فى رأيك ؟

عضّ شفتيه فى مرارة ، وهو يقول :

- إنه ذلك الوغد لا ريب .. اللعنة !.. لماذا لا يطلقون يدى بشأنه ؟

مسحت بيدها على شعره فى حنان ، وهى تسأله :

- ماذا كنت ستفعل ؟

أجابها فى ثورة مكتومة :

- كنت سأطارده فى كل مكان ، وفى كل موقع .. لم أكن لأتراجع عنه قط ، حتى أظفر به .

ترددت لحظة ، قبل أن تسأل :

- ألا تعتقد أن (نور) يفعل هذا ؟

صمت لحظات ، وكأنما يعجز لسانه عن التحدُّث ، قبل أن يتمتم :

- بلى .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، واستطرد :

- والواقع أننى أحسده من أجل هذا .

قالت فى دهشة :

- تحسده ؟!.. تحسده على مواجهته الدائمة للخطر ؟!

أجابها فى مرارة :

- لو انعكست الأدوار ، لحسدنى (نور) أيضًا .

تطلّعت إليه لحظات فى دهشة ، ثم هزّت رأسها ، قائلة :

- لن يمكننى فهم أسلوب تفكيركما قط .

ابتسم فى حزن ، مغمغمًا :

- هذا أمر طبيعى .

ضايقها تعليقه ، فعقدت حاجبيها فى توتر ، وهمّت بسؤاله عما يعنيه ، عندما صكّ الانفجار الثانى مسامعهما بغتة ، فالتفت (أكرم) إلى مصدره ، وهتف :

- ربّاه !.. إنه هناك .

سألته فى ذعر :

ـ هناك ؟!.. أين تقصد ؟

اندفع يعدو نحو باب المنزل بغتة ، وهو يهتف :

ـ ذلك الانفجار .. لقد دوى هناك .. عند منزل (نور) .

وهوى قلب (مشيرة) بين قدميها ..

★ ★ ★

لم يكد (نور) يلمح (ليدر) ، وهو يصوّب إليه كرته الأرجوانية القاتلة ، حتى تراجع بكل قوته وسرعته ، وجذب زوجته (سلوى) ، وهو يعدو صائحًا :

ـ ابتعدى .

ومن خلفهما ، دوى الانفجار ..

الصاعقة أصابت النافذة ، ونسفتها مع الجدار كله ، وأطاح الانفجار بـ (نور) و(سلوى) فى عنف ، فارتطما بالجدار المقابل ، وسقطا أرضًا ..

وتأوّهت (سلوى) بآلام شديدة ، فى حين تجاوز (نور) آلامه ، وهبّ يعاونها على النهوض ، وهو يقول :

ـ أسرعى يا عزيزتى .. أسرعى .. لو ظفر بنا هذا الوغد ، فلن يتورّع لحظة عن سحقنا .

قاومت آلامها فى صعوبة ، ونهضت مع (نور) ، الذى حاول دفعها على المضى فى الفرار إلا أنها تأوّهت مرة أخرى ، هاتفة :

ـ كاحلى يا (نور) .. إنه يؤلمنى فى شدة .

وفى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، انطلقت الصاعقة الثانية ..

ودوى الانفجار داخل المنزل هذه المرة ..

ومع الانفجار ، طار جسدا (نور) و(سلوى) مرة أخرى ، وارتطما بالجدار المقابل ، فشهقت (سلوى) ، وسقطت أرضًا فاقدة الوعى ، فى حين سقط (نور) على ظهره فى عنف ، وشعر بعظامه كلها تتحطّم دفعة واحدة ، إلا أنه نهض فى سرعة ، وجذب زوجته ، هاتفًا :

ـ (سلوى) .. (سلوى) .. تحدثّى إلىّ .

كانت فاقدة الوعى تمامًا ، وحيوانا (الميناروس) يزمجران ، استعدادًا للانقضاض ، فانحنى يحمل زوجته ، على الرغم من جراحه العديدة ، وانطلق يعدو عبر المنزل ، فى حين هتف (ليدر) فى صرامة :

ـ (ألفا) .. (بيتا) .. أريده جثة بلا ملامح .

انطلق الوحشان إلى منزل (نور) ، وارتفعت زمجرتهما ، وهما يعدوان داخله ، حتى لاح لهما (نور) ، وهو يقفز داخل حجرة صغيرة ، فى نهاية الممر الداخلى ، فاندفعا نحوه ، وأنيابهما تضرب الهواء مع مخالبهما ..



فانحنى يحمل زوجته ، على الرغم من جراحه العديدة ،

واستدار (نور) يغلق باب تلك الحجرة الصغيرة خلفه .. ولكن (الميناروس) سبقه إليه ..

وشعر (نور) بالحيوان الضخم يضرب الباب ، ويخمشه بمخالبه الحادة ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، وشعر بالحنق لأنه لا يحمل سلاحه ، ولكنه استنفر قواه كلها ، وضغط الباب ، فى صراع مع (الميناروس) ، و ...

وانتصر ...

بضغطة قوية ، أودعها كل عنفوانه ، أغلق الباب فى وجه (الميناروس) ، الذى أطلق زمجرة غاضبة ، وراح يضرب الباب فى قوة ، حتى ظهر (ليدر) عند بداية الممر ، وقال فى صرامة :

- (بيتا) .

تراجع (الميناروس) فور سماعه النداء ، وأشار إليه (ليدر) بيده ، قائلاً :

- انتهت مهمتك .

خفض الحيوان رأسه فى استسلام عجيب ، وكأنما استحال فجأة إلى حيوان أليف ، وتراجع فى سرعة ، متجاوزًا (ليدر) ، الذى أخرج كرته الأرجوانية ، وصوبها إلى الباب ، مستطردًا :

ـ وحانت مهمتى .

ثم ضغط جانبى الكرة ..

وأطلق الصاعقة ..

★ ★ ★

على الرغم من أن المسافة ، التى تفصل منزل (نور) عن (أكرم) ، ليست بالقصيرة ، إلا أن هذا الأخير قطعها عدوًا ، وسمع فى طريقه الانفجار الثانى ، فهتف :

ـ ربَّاه !.. لا تجعله يظفر بـ (نور) أبدًا .

تجاوز شارعه الرئيسى ، وانحرف إلى شارع جانبى ، قاده مباشرة إلى شارع (نور) ، مع دوى الانفجار الثالث ، الذى خفق له قلبه فى عنف ..

وعندما اقترب من المنزل ، لاحت له سيارة تغادره مسرعة ، وتتلاشى تدريجيًا ، كما لو أنها تختفى عن الأنظار ، وهى تتجه نحو الطرف الآخر للشارع ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أبواق سيارات الشرطة ، التى تقترب من الطرف الأوَّل ..

وقفزت يد (أكرم) فى حركة غريزية إلى حزامه ، ليلتقط مسدسه ، قبل أن تختفى السيَّارة تمامًا ، وانعقد حاجباه فى حنق ، عندما لم تلتقط يده سوى الفراغ ، وهتف :

ـ اللعنة !

كان يشعر بالغضب ؛ لأنه فقد مسدسه هناك ..

فى (لاتنس) ..

فى الأرض المفقودة ..

ولكنه طرح غضبه هذا جانبًا ..

أو فلنقل : إن خوفه وقلقه على (نور) ، قد أزاحا كل مشاعره الأخرى جانبًا ، ليحتلاَّ كيانه كله ، وهو يعدو إلى المنزل ، الذى انسحقت واجهته ، ومن خلفه توقَّفت سيارات الشرطة ، وهبط منها الرجال ، الذين اندفعوا بدورهم إلى المنزل ..

وفى قلق عارم ، راح (أكرم) يعدو داخل المنزل ، هاتفًا :

ـ (نور) .. (سلوى) .. أين أنتما ؟

قادته قدماه إلى تلك الحجرة الصغيرة ، فى نهاية الممر ، وهوى قلبه بين قدميه ، عندما رأى ما أصابها من دمار ، وغمغم هلعًا :

ـ ربَّاه !.. (نور) .. (سلوى) .

لحق به رجال الشرطة ، وهتف أحدهم :

ـ أين المقدَّم (نور) ؟

- ابحث عن بقاياه هو وزوجته هناك .

حدّق رجل الشرطة فى الحجرة ، التى انسحقت جدرانها ، وهو يردّد :

- بقاياه ؟!

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا فى مرارة ، وهو يتراجع فى حزن ، و ...

(أكرم) ..

خفق قلبه فى عنف ، عندما بلغ النداء مسامعه ، فاستدار إلى مصدره بسرعة مدهشة ، كادت تفقده توازنه ، وتسقطه أرضًا ، وهتف بكل انفعاله :

- (نور) ؟!.. مستحيل !..

كان أحد أجزاء جدار الردهة قد انزاح من مكانه ، وبرز من خلفه (نور) ، فى حالة مزرية ، وهو يحمل زوجته ، ويقول فى توتر بالغ :

- الإسعاف يا (أكرم) .. أسرع بطلب رجال الإسعاف .. أسرع بالله عليك يا (أكرم) .. أسرع .

ولم يضع (أكرم) لحظة واحدة ..

إن (نور) يحتاج إليه ..

وهو لايتردّد فى الاستجابة لزميله قط ..

زميله السابق ..

* * *

« لا تقلق أيها المقدّم .. زوجتك بخير .. » ..

نطق طبيب المستشفى المركزى بالعبارة ، مع شروق الشمس ، فتنهّد (نور) فى ارتياح ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

ثم سأل فى قلق :

- متى تستعيد وعيها ؟

أجابه الطبيب ، وهو ينتزع معطفه الطبى :

- امنحها بعض الوقت .. لقد أصيبت بالعديد من الكدمات والسحجات ، بالإضافة إلى إصابة الرأس ، بالإضافة إلى أنها عانت من صدمات عنيفة ، مما اضطرنا إلى حقنها ببعض المهدئات والمسكنات القوية ، وسيجعلها هذا تغرق فى النوم لفترة طويلة .

ثم ربّت على كتفه ، مستطردًا بابتسامة مشجّعة :

- ولكنها بخير والحمد لله .. اطمئن .. ستستعيد وعيها ، وتعود معك سالمة إلى منزلكما بإذن الله .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- لست أعتقد هذا ، فلم يعد لدينا منزل فى الوقت الحالى .

تطلّع إليه الطبيب فى دهشة ، فقال (أكرم) مشيرًا إليه :

ـ لا عليك يا سيّدى الطبيب .. إنها مجرّد عبارة رمزية .
تظاهر الطبيب بالفهم ، وهو يقول :
ـ كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .
قالها ، وانصرف ، فمال (أكرم) نحو (نور) ، وقال :
ـ لقد بدءوا فى إصلاح منزلك بالفعل ، والمهندس المسئول يؤكّد أنه ، باستخدام الجدران سابقة التجهيز ، لن يستغرق الأمر أكثر من ثلاثة أيام .
تنهّد (نور) ، وقال فى مرارة :
ـ ليست هذه هى المشكلة .
تطلّع إليه (أكرم) لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله :
ـ إنك تفكّر فى ذلك الوغد .. أليس كذلك ؟
أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
ـ إنه يتحرّك بسرعة وعنف ، ويسبقنا بخطوة دائمًا ، فلا تنطبق أصابعنا ، إلا بعد أن يفلت من بينها .
وتراجع فى مقعده ، مستطردًا فى ضيق :
ـ وهناك شىء عجيب فى الأمر ، فلقد قرّرنا مراقبة العاصمة كلها ، بالأقمار الصناعية ، بحيث يمكننا التركيز على المناطق التى تتعرّض للهجوم ، إلا أن نتائج الفحص أتت سلبية ، كما لو أن هذا الرجل يضرب ضربته ، ثم يتلاشى تمامًا .

اعتدل (أكرم) فى حركة جادة ، وهو يقول :
ـ يا إلهى !.. هذا صحيح يا (نور) .
التفت إليه (نور) ، يسأله :
ـ ماذا تعنى ؟
أجابه فى حماس :
ـ ذلك الوغد يتلاشى بالفعل .. أقصد أنه يختفى بسيّارته العجيبة هذه ، بعد أن ينتهى من مهامه القذرة .. لقد رأيت هذا بنفسى .
سأله (نور) فى اهتمام بالغ :
ـ صف لى ما رأيته بالضبط .. هل يمكنك هذا ؟
اندفع (أكرم) يروى له ما رآه بالضبط ، و(نور) يستمع إليه فى اهتمام ، حتى انتهى من روايته ، فقال (نور) فى حزم :
ـ آه .. هذا يفسّر الكثير .
سأله (أكرم) فى اهتمام :
ـ هل يمكنه أن يختفى بالفعل يا (نور) ؟!.. لا ريب فى أنه يستخدم تقنية مدهشة ليفعل هذا .
هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :
ـ إنها ليست تقنية مدهشة كما تتصوّر يا (أكرم) ، إنه يحيط نفسه بمجال كهرومغنطيسى محدود ، يخفيه عن الأنظار تمامًا .

انعقد حاجبا (أكرم) وهو يقول :

- تتحدث كما لو أن هذا أمرًا طبيعيًا .

أومأ (نور) برأسه قائلاً :

- إنه كذلك .. لقد واجهنا موقفًا مماثلاً ، منذ عدة سنوات ، فى الأيام الأولى لعمل الفريق (*) ، ولكن الفكرة نفسها أقدم من هذا بكثير .. لقد بدأها الأمريكيون ، إبّان الحرب العالمية الثانية ، وأجروا تجربة فعلية ، حول عملية إخفاء المعدات العسكرية ، بإحاطتها بمجال كهرومغنطيسى قوى ، والمدهش أنهم نجحوا فى هذا بالفعل ، فيما عرف باسم (تجربة فيلادلفيا) ، وأخفوا بارجة حربية كاملة عن الأنظار ، وعلى متنها طاقمها بأكمله ، ولكنهم عندما أعادوها للظهور ، كان الطاقم مصابًا بحالة رهيبة من الذعر والهلع ، ولقى العشرات منه مصرعهم ، فى حين أصيب معظم الآخرين بالجنون ، وأخفى الأمريكيون أقوال الناجين تمامًا ، ولم يتم التصريح بها أبدًا ، وإن تحدّث العلماء الذين قاموا بالتجربة عن الأمر ، دون الإفصاح عن تفاصيله العلمية بالطبع (**) .

استمع إليه (أكرم) مبهورًا ، قبل أن يهتف :

(*) راجع قصة (منطقة الرعب) .. المغامرة رقم (١١)

(**) حقيقة .

- إذن فذلك الوغد يختفى بالفعل .. ربّاه !.. هل تعتقد أنه استخدم الوسيلة نفسها ، بالنسبة لما سرقه من سبائك الذهب ؟!.. لقد أخبرتنى أن السبائك اختفت كلها فى سرعة كبيرة ، لا تتناسب مع الوقت القصير ، الذى استغرقته العملية كلها .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- هذا غير منطقى ، فالمجال الكهرومغنطيسى يخفى الأشياء المادية عن الأنظار ، ولكنها تحتفظ بكيانها المادى ، ووزنها ، وصفاتها الأخرى ، ولو أنه فعل هذا ، لظلّ فى مكانه ، دون أن نستطيع رؤيته ، ولكننا سنستطيع لمسه بالتأكيد ، وسندرك وجوده .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وغمغم :

- تُرى لماذا سرق كل هذا الذهب ؟

اعتدل (نور) ، وهو يجيب :

- هناك احتمالان جالا بذهننا ، بشأن هذه النقطة ، فإما أنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تقدّم نحوهما رجل يرتدى معطفًا من معاطف المطر ، وقال بصوت خشن جاف :

- أيكما (أكرم) ؟

التفت إليه الاثنان فى دهشة ، وأشار (أكرم) إلى صدره ، قائلاً :

ـ أنا (أكرم) .

وهنا دسّ الرجل يده فى جيبه ، وأخرجها فى سرعة ، وهو يصوّب شيئًا إلى رأس (أكرم) مباشرة ..

وكان هذا الشىء مسدسًا ..

مسدسًا كبيرًا .

★ ★ ★



٧ ـ الصديق ..

على الرغم من الليلة الطويلة ، التى لم يغمض لها جفن فيها ، بدت (مشيرة) كتلة من النشاط والحيوية والحماس ، وهى تشرف على فريق الصحفيين ، الذى انتشر حول منزل (نور) ، وأشارت بيدها إلى أحدِ المصورين ، قائلة :

ـ التقط الصور من كل الزوايا .. أريد أن يشاهد الجميع ما أصاب المنزل من خراب ودمار ، و ...

قاطعها صوت صارم ، يقول :

ـ أعتقد أن هذا لن يتم .

استدارت فى تحفز إلى مصدر الصوت ، وقالت فى حدة :

ـ ومن أنت لتقول هذا ؟

أبرز صاحب الصوت بطاقته ، وهو يجيب :

ـ مكتب النائب العام .

سألته فى حذر غاضب :

ـ وما شأن مكتب النائب العام بالأمر ؟!.. إنها حادثة عادية ، والمفترض أن تعمل صحافة الفيديو على تغطيتها بشكل تام ، خاصة وأن (نور) ليس بالشخصية المجهولة .. أليس كذلك ؟

أشار الرجل إلى فريق العمل المصاحب لها ، وهو يقول :

ـ من المؤكَّد أنها ليست بالحادثة العادية يا سيِّدتى ، وإلا ما جمعت أفضل رجالك لتغطيتها .

أجابته فى حدة :

ـ أعتقد أن هذا شأنى وحدى .

هزَّ رأسه نفيًا ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لم يعد شأنك يا سيِّدتى .

فتحت شفتيها ؛ لتصرخ فى وجهه معترضة ، إلا أنه أبرز وثيقة رسمية ، وهو يضيف بنفس الصرامة :

ـ لقد أصدر النائب العام قرارًا بحظر النشر ، فى هذه القضية ، اعتبارًا من فجر اليوم .

حدَّقت فى الوثيقة بدهشة مستنكرة ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ ماذا أصابهم ؟!.. من الضرورى أن يعرف الشعب الحقائق كلها .. هل تصرّون على كبت الحريات إلى هذا الحد .

أعاد الرجل الوثيقة إلى جيبه ، وهو يقول :

ـ لا يوجد أى كبت للحريات الآن يا سيِّدتى ، وأنت خير من يدرك هذا ، ولكن من حق الدولة أن تحجب أية معلومات خاصة عن الشعب لفترة محدودة ، لو أنها رأت أن نشر هذه المعلومات يضرّ بالصالح العام .

التفتت تشير إلى المنزل ، هاتفة فى غضب :

ـ ولكن الأمر ليس سرًّا .. المنزل تهدَّمت جدرانه بالفعل ، والجميع يمكنهم رؤية هذا فى وضوح ، و ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، ومالت بجسدها إلى الأمام ، تحدِّق فى نقطة ما بين الحطام ، ثم تراجعت فى عنف ، وهى تطلق شهقة مذعورة ، لم تلبث أن تحوَّلت إلى صرخة ..

صرخة فزع رهيبة ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك القادم يشهر مسدسه ، فى وجه (أكرم) ، حتى وثب (نور) من مقعده ، وأمسك معصمه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إياك أن تحاول .

تراجع الرجل فى حركة حادة ، وهبَّ (أكرم) بدوره ، هاتفًا :

- (نور) .

إلا أن قبضة (نور) كانت قد انطلقت بالفعل ، وهوت على فك الرجل ، الذى ترنّح فى عنف ، وصاح :

- ما هذا ؟

جذبه (نور) من سترته ، وهو يقول فى صرامة :

- من أرسلك إلى ...

قاطعه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يمسك معصمه :

- رويدك يا (نور) .. الرجل لم يقصد شيئًا .

هتف (نور) فى دهشة ، وهو يشير إلى المسدس :

- لم يقصد شيئًا ؟!.. ولكن هذا الـ ...

جاء دوره ليبتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى المسدس ، الذى يحمله الرجل ..

وأضاء عقله دفعة واحدة ، قبل حتى أن يقول (أكرم) ضاحكًا :

- الرجل لم يكن يصوّب المسدس إلىّ .. إنه يقدّمه لى ، فقد طلبته خصيصًا ، وعلى وجه السرعة .

تراجع (نور) فى توتر ، مغمغمًا :

- طلبت مسدسًا ؟!

هتف حامل المسدس فى حنق :

- هذا صحيح .. أنا مجرّد مندوب تسليم .. الأستاذ (أكرم) طلب مسدسًا من طراز خاص ، يعود إلى القرن الماضى .. إنه من ذلك النوع ، الذى يستخدم الرصاصات ، بدلاً من أشعة الليزر ، وطلب إحضاره إليه بأقصى سرعة ممكنة ، ودفع المقابل لهذه الخدمة الخاصة ، وأرسلتنى الشركة إليه بالمسدس ، وعندما ذهبت إلى منزله ، أخبرونى أنه هنا فلحقت به ، و ...

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- فهمت .

ثم تنهّد فى عمقٍ ، مغمغمًا :

- يبدو أننى فقدت أعصابى بالفعل .

ابتسم (أكرم) مشفقًا ، وهو يقول :

- معذرة لضحكاتى يا (نور) ، ولكن أدهشنى أن تثور أعصابك أنت ، فى حين أحتفظ أنا بهدوء أعصابى .. هذا يعكس الأدوار كلها .

ثم التفت إلى الرجل ، قائلاً :

- تقبّل أسفنا على هذا الخطأ غير المقصود ، ولكن صديقى (نور) مرّ بفترة عصيبة للغاية ، و ...

هتف الرجل مقاطعًا :

- (نور) ؟!.. هل تقصد الرائد (نور) ، بطل التحرير ؟!

ابتسم (أكرم) ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول :

- إنه هو ، ولكنه لم يعد يحمل رتبة رائد .. لقد صار مقدمًا .

اندفع الرجل نحو (نور) ، وتهلّلت أساريره ، وهو يصافحه فى حرارة ، هاتفًا :

- لست أصدّق نفسى !.. إذن فأنت البطل .. يا إلهى !.. كم تمنيت أن أشكرك بنفسى يومًا ، على ما فعلته لكوكبنا .. قل لى يا سيّدى : لماذا لا ينشرون صورتك فى الصحف ؟

غمغم (نور) :

- لأسباب أمنية بحتة .

هتف الرجل :

- حقًّا .. حقًّا .. لا يمكنك أن تتصوّر سعادتى .. لن يصدّق رفاقى ، عندما أروى لهم ما حدث .

تنحنح (نور) ، مغمغمًا :

- أشكرك كثيرًا .

أومأ الرجل برأسه فى سعادة ، وقال قبل أن ينصرف :

- صدقنى يا سيادة المقدّم (نور) .. نحن نشعر بالأمان ؛ لأن أمثالك يسهرون على راحتنا .

راقب (أكرم) الرجل وهو ينصرف ، ثم التفت إلى (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

- هل سمعت ما قاله ؟.. تلكمه فى غضب ، فيشد على يدك فى حرارة ، ويؤكّد لك أنه لن يشعر بالأمان بدونك .. هل رأيت ما هو أغرب من هذا ؟

تنهّد (نور) ، وهو يعود إلى مقعده ، مغمغمًا :

- أرجو أن يكون على حق .

جلس (أكرم) إلى جواره ، قائلاً :

- إنه كذلك .

ثم سأل (نور) فى اهتمام :

- ولكن قل لى يا (نور) : كيف نجوت من انفجار تلك الحجرة الصغيرة ، أنت و(سلوى) ؟

أشار (نور) بيده ، وهو يجيب :

- تلك الحجرة معدّة خصيصًا للطوارئ ، وما أن تضغط زرًّا خفيًّا فيها ، حتى تنفتح أرضيتها ، وتسقطك داخل ممر خاص ، يقود إلى جدار الردهة .. لقد صنعتها بعد تعرُّض (سلوى) لهجوم الحرباء (*) .

أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

- أحسنت فعلاً .

ثم رفع المسدس الجديد ، مستطردًا فى زهو :

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

- ما رأيك فى سلاحى الجديد ؟
قال (نور) فى إرهاق واضح :
- بل ما رأيك أنت ؟ فأنت من سيستخدمه وليس أنا .
مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال :
- سأخبرك بعد تجربته .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار بعيد ..

انفجار بدا وكأنه يأتى من نفس موقع الانفجار السابق ..

من منزل (نور) ..

★ ★ ★

حدّقت (مشيرة) بغتة فى نقطة ما وسط الأطلال ، ثم تراجعت فى رعب ، وهى تطلق صرخة فزع ، جعلت مندوب النائب العام يميل للنظر إلى ما أثار فزعها إلى هذا الحد ، ووقع بصره على قرص بيضاوى ، أرجوانى اللون ، يتألّق فى شدة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها (مشيرة) تعدو بكل قوتها ، صارخة :

- ابتعدوا .. هذا الشىء سينفجر .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى دوى الانفجار ..

وشهقت (مشيرة) فى رعب ، مع الطاقة الهائلة ، التى انتزعتها من الأرض ، وطارت بها فى الهواء ، عبر الشارع العريض ، لمسافة عشرين مترًا ، قبل أن تهوى بها نحو أحد المنازل ، فى الناحية المقابلة ..

وصرخت وهى تندفع نحو المنزل ، الذى تحطّمت نوافذه من قوة الانفجار ، وأخفت وجهها بذراعيها ، قبل أن ترتطم بشرفة المنزل ، وتندفع منها إلى بابها ، فتحطّمه فى قوة ، وتسقط داخل المنزل ..

وعندما تأوّهت فى ألم ، لمحت عيناها ألسنة اللهب ، التى انطلقت إلى عنان السماء ، والتقطت أذناها صراخ رهيب ، يملأ الشارع كله ..

وبكل الألم فى أعماقها ، هتفت (مشيرة) :

- لا .. لا يمكن أن يحدث هذا .

وزحفت بكل ما تبقّى لها من قوة ، فى محاولة لبلوغ الشرفة ، واستكشاف ما حدث للباقين ..

كانت كل عظمة فى جسدها تئن ألمًا ، والدماء تنزف من أجزاء شتى منه ، إلا أنها قاومت فى استماتة ، وتشبّثت بحاجز الشرفة ، ونهضت فى بطء ، قبل أن تتسع عيناها فى ارتياع ، وتصرخ :

- لا .. لا ..

كانت النيران تلتهم منزل (نور) بلا رحمة ، أما فريق الصحفيين ، ورجال الشرطة ، وحتى مندوب النائب العام ،

فقد سقطوا وتناثروا حوله ، وتحوّل بعضهم إلى أشلاء متناثرة ، جعلتها تغمض عينيها ، وتشيح بوجهها ، وتبكى هاتفة :

ـ (ياسر) .. (منى) .. (فريد) .. كلهم لقوا حتفهم .. ياللمساكين !.. ياللمساكين !

جذبت جسدها بكل ما تملك من قوة ، لتقف على قدميها ، عند حاجز الشرفة ، وأدهشها أن طاقة الانفجار الهائلة قد رمتها إلى الطابق الثانى من المنزل المقابل ، وهى تتطلّع إلى المشهد من ذلك الارتفاع ، وحاولت أن تتحرك نحو ركن الشرفة ، إلا أن قدميها تخاذلتا ، وأحاط برأسها دوار عنيف ، حاولت أن تقاومه لدقيقتين أو يزيد ، إلا أنه سيطر عليها فى شراسة ، واحتلّ كل مساحة الوعى فى عقلها ، و ...

وهوت ...

فقدت توازنها مع غيبوبة مباغتة ، وهوت من الطابق الثانى ..

إلى الأرض مباشرة ..

★ ★ ★

لم يكد (نور) و (أكرم) يسمعان دوى الانفجار ، ويحددان موقعه ، حتى هتف الأخير فى ارتياع :

ـ ربّاه !.. إنه عند منزلك يا (نور) .. و(مشيرة) تقوم بعملها هناك .

قالها ، وانطلق يعدو بكل قوته ، وخلفه (نور) ، يهتف :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

لم يكن هناك تفسير منطقى لتكرار ضرب منزله ، إلا أن (ليدر) اتخذ جانب الحذر ، وافترض أنه لم يلق مصرعه مع زوجته ، فى الانفجار الأوّل ، فوضع قنبلة موقوتة ، لضمان القضاء عليه فيما بعد ..

وهذا يعنى أن (ليدر) يصرّ على القضاء عليه ..

يصرّ على هذا بشدة ..

كان من الممكن أن يبدأ هذا سلسلة من التداعيات الفكرية ، فى عقل (نور) ، لولا أن وثب (أكرم) داخل سيارته ، هاتفًا :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .. (مشيرة) هناك .

قفز (نور) داخل سيّارة (أكرم) العتيقة ، فضغط هذا الأخير دوّاسة الوقود فى قوة ، ودفع ذراع السرعة ، وانطلق ...

كان ينطلق فى عكس اتجاه السير التقليدى ، وبسرعة مخيفة ، جعلت (نور) يهتف :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. هذا يخالف القانون .

صاح (أكرم) فى عصبية :

- فليذهب القانون إلى الجحيم .. (مشيرة) هى قانونى الوحيد .

انطلقت خلفهما أجهزة المخالفات الآلية ، وارتفع منها صوت آلى معدنى ، يقول :

- السير مخالف للقانون .. سلّم رخصة القيادة فورًا .

تجاهل (أكرم) ذلك النداء تمامًا ، ووثب فوق الإفريز الأوسط للطريق ، إلى شارع جانبى واسع ، وأجهزة المخالفات تطارده ، متابعة :

- توقّف إلى جانب الطريق .. هذا أمر .

صاح (أكرم) فى حدة :

- اذهبوا إلى الجحيم .

ولكن أجهزة المخالفات زادت من سرعتها ، وتجاوزت السيارة ، ثم انطلق منها صوت آلى صارم ، يقول :

- لقد حذّرناك .

وانطلق منها خيط من أشعة الليزر ، نسف القسم العلوى من المحرّك ، فاختلّ توازن السيارة ، و(أكرم) يصرخ غاضبًا :

- اللعنة !.. اللعنة !

وانحرف بالسيارة إلى جانب الطريق ، ووثب منها ليركض بأقصى سرعته ، فقفز (نور) خلفه ، وتبعه دون أن يعلّق بحرف واحد ، وعندما اقتربا من منزله ، خفق قلبه فى عنف ، مع ألسنة النيران المتصاعدة ، ولكنه وجد (أكرم) يشير إلى الناحية المقابلة ، هاتفًا :

- ربّاه !.. إنها (مشيرة) !!.

استدار (نور) بسرعة ، إلى حيث يشير (أكرم) ، ورأى (مشيرة) تترنّح فى شرفة المنزل المقابل ، ثم تفقد توازنها ، و ...

وتسقط ..

واتسعت عيناه فى دهشة ..

لم يكن مبعث دهشته هو سقوطها بالطبع ، وإنما كان تلك السرعة الخرافية ، التى انطلق بها (أكرم) يعدو نحوها ..

لقد انطلق نحو تلك الشرفة ، منذ اللحظة التى لمح فيها زوجته تترنّح ، وبدا لـ (نور) أشبه بآلة فائقة للركض ، وهو يقطع المسافة كالصاروخ ، ويثب ليستقبل زوجته بذراعيه ، مع سقوطها من الشرفة ..

والعجيب أنه نجح ..



لم يكن مبعث دهشته هو سقوطها بالطبع ، وإنما كان تلك

لقد التقطها بين ذراعيه ، وسقط معها أرضًا في عنف ، وهو يتشبَّثُ بها جيدًا ، ويقيها بجسده من الطريق ، حتى استقرّا معًا ، وفتحت (مشيرة) عينيها في صعوبة ، متمتمة :

ـ (أكرم) ؟!

تنهَّد وهو يهتف :

ـ نعم .. هو أنا يا أميرتي .. لم يكن من الممكن أبدًا أن أفقدك .

حاولت أن تبتسم ، و(نور) يقول لاهثًا :

ـ لقد حطَّمت المستحيل بالفعل يا (أكرم) .

نقلت (مشيرة) عينيها الزائغتين إليه ، وهي تغمغم :

ـ المستحيل ؟!

ثم هوت دفعة واحدة في الأعماق ..

أعماق غيبوبتها ..

★ ★ ★

« إنه يشن الحرب علينا بالذات يا (نور) .. »

هتف (أكرم) بتلك العبارة في حنق ، داخل ممر المستشفى ، قبل أن يلوّح بذراعه كلها ، مستطردًا :

ـ أولًا هاجمني ، ثم هاجمك ، وبعدها كاد يقتل (مشيرة) .. ما الذي تريده أكثر من هذا ، لتقتنع بأنه يسعى خلفنا ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- حتى ولو قلت ضعف هذا ، لن يمكنك إقناعى قط ، فأنا أومن تمامًا بأن مهاجمتنا جزءًا من خطته ، وليست الغرض الرئيسى من قدومه إلى عالمنا .. إنه يهاجم منشآتنا العسكرية فى شراسة منقطعة النظير ، ويسعى لتحطيم قوتنا ، والسيطرة على مقدراتنا ، وما من أحد يفعل كل هذا لينتقم من شخصين فحسب .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

- (ليدر) يسعى للسيطرة على العالم يا صديقى .. هذا ما يسعى إليه بالتحديد .

تراجع (أكرم) ، مرددًا فى عصبية :

- السيطرة على العالم ؟!.. هل تظنه ساذجًا إلى هذا الحد يا (نور) ، ليقاتل من أجل هدف مستحيل ؟!.

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- بل أظنه مجرد مجنون .. سادى مجنون ، ينتقم من عالمنا كله لفشله فى عالمه .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

- ولكنه لن ينجح فى هذا أبدًا بإذن الله .. سأقاتله حتى آخر نفس يتردد فى صدرى .

ارتجفت أذنا (أكرم) لعبارة (نور) ، واختنق بها صدره ، وهو يتحسس مسدسه فى توتر شديد ..

لقد ضايقه أن يستخدم (نور) صيغة المفرد فى العبارة ، بدلاً من صيغة المثنى ..

وهذا يعنى بالنسبة إليه أن (نور) أيضًا قد استبعده من المهمة ..

(نور) أيضًا أزاحه عن الطريق ..

ولكن لا ...

صرخت أعماقه كلها بالكلمة ، التى رددها كيانه فى حزم وإصرار وعناد ..

حتى ولو أزاحوه جميعًا ، لن يتوقف أبدًا ..

سيقاتل (ليدر) وحده ، لو اقتضى الأمر ..

ومهما كان الثمن .

★ ★ ★



٨ـ الخدعة..

التقى حاجبا (ليدز) فى شدة ، وهو يتابع نشرة أنباء الفيديو ، داخل مخبئه السرى ، فى أطراف العاصمة الجديدة ، وأحنقه بشدة عدم ورود أية أنباء عن ذلك الهجوم ، الذى شنه على منزل (نور) أمس ، فغمغم ساخطًا :

ـ لماذا يخفون الأمر ؟

زمجر حيوانا (الميناروس) لعبارته ، وكأنهما فهما ما قاله ، ثم عادا يلتهمان غذاءهما النباتى فى صمت ، فى حين تابع هو فى ازدراء :

ـ يتشدقون كثيرًا بالحريات ، ثم يتراجعون عنها عندما تنقلب عليهم .

وصمت لحظات ، ثم ضغط زر الكمبيوتر ، وراح يستعرض تفاصيل المنشآت الدفاعية عليها ، لاختيار هدف الليلة ، إلا أن عينيه تألقتا بغتة ، وهو يُغمغم :

ـ فليكن .. إنهم يحتاجون إلى هدف يستحيل إخفاؤه .

وضغط الأزرار مرة أخرى ، فامتلأت الشاشة برسم بسيط ، ابتسم لرؤيته فى شراسة ، وتمتم :

ـ هدف مثل هذا .

قالها واستعاد ابتسامته الساخرة ، قبل أن ينهض من مقعده ، ويشير إلى الحيوانين ، قائلاً فى صرامة :

ـ (ألفا) .. (بيتا) .

انتبها فى آن واحد ، وأسرعا يتبعانه فى صمت ، وهو يغادر المخبأ النووى القديم ، ويتجه إلى سيارته ، التى لم تكد تنطلق ، حتى أحاط بها ذلك الغلاف الكهرومغنطيسى ، و ...

واختفت عن الأبصار ..

وبعيدًا ..

عند الطرف الآخر للعاصمة ، استرخى أحد مهندسى شبكة المياه النقية الرئيسية ، وهو يقول لزميله :

ـ هل تعلم ؟.. أنا أميل كثيرًا لدورات العمل الليلية هذه .

سأله زميله فى دهشة :

ـ كيف هذا ؟!.. إننا نعتبرها جميعًا من أكثر الدورات إرهاقًا وإثارة للضجر والملل .

ابتسم المهندس ، وهو يقول :

- خطأ يا صديقى .. إنها أكثر الدورات راحة واسترخاء ، ففيها تقلّ الأعطال والمشكلات ، وينام الرؤساء والمسئولون، وتجد وقتًا للقراءة والتطلّع الى النجوم طوال الليل .

ضحك زميله ، وهو يقول :

- ياللرومانسية ! (*) .

ابتسم المهندس ، واسترخى متطلّعًا إلى النجوم المتألّقة فى السماء ، وهو يقول فى استمتاع واضح :

- ما أجمل الرومانسية !.. انظر يا رجل إلى السماء بنجومها وكواكبها .. ألا يملؤك هذا شعورًا بالراحة ؟

رفع زميله عينيه إلى السماء ، وقال :

- بل يملأ نفسى بالرهبة ، وخشية الخالق (عزّ وجلّ) ، الذى جعل كل شىء موزون ، فلا الكواكب تخرج عن مسارها ، ولا النجوم تضلّ فى الكون الفسيح .

التفت إليه المهندس ، وابتسم مغمغمًا :

(*) الرومانسية : نزعة فنية ، تدعو إلى العودة إلى الطبيعة ، وإيثار الحس والعاطفة على العقل والمنطق ، ولقد تأثر بهذه الحركة فنانو القرن التاسع عشر ، من أدباء ومصورين وموسيقيين ، فثاروا على القواعد والأشكال الكلاسيكية ، مع الاهتمام بالجانبين ، العاطفى والروحى ، والرومانسية ، باعتبارها الروح الذى يسرى فى العمل الفنى ، يمكن أن تجدها فى أى عصر من العصور .

- وتقول إننى أنا الرومانسى ؟!

خفض زميله عينيه مبتسمًا ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن ابتسامته تجمّدت بغتة على شفتيه ، ثم تلاشت فى سرعة ، وحلّت محلّها نظرة ارتياع ورعب ، جعلت المهندس يعتدل فى حدة ، وهو يسأله :

- ماذا أصابك ؟

ثم أدار عينيه إلى حيث يحدّق زميله ، و ...

وأطلق شهقة فزع عنيفة ..

فأمامه مباشرة ، وعلى بعد ستة أمتار فحسب ، كان يقف حيوان رهيب ، يتطلّع إليهما بنظرة دموية مخيفة ..

ثم برز آخر ..

وفى هلع ، هتف المهندس :

- ربّاه !.. اتصل بطاقم الأمن على الفور .

قفز زميله فى سرعة ، محاولاً بلوغ زر الإنذار ، إلا أن أحد حيوانى (الميناروس) زمجر فى وحشية ..

ثم انقضّ عليه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انغرست فيها أنياب (الميناروس) فى الزميل ، كان الحيوان الآخر ينقض عى المهندس نفسه ..

وارتفعت صرخات الألم والرعب من الرجلين ، وهما يقاومان الأنياب والمخالب القاتلة ..

ومن الركن نفسه ، برز (ليدر) ، بوجهه النحيل ، وعينيه الغائرتين ، ووقف يراقب المشهد فى صمت وهدوء ، والحيوانان يمزقان الجسدين فى شراسة رهيبة ..

حتى خمدت الصرخات تمامًا ..

وهنا تحرَّك (ليدر) من مكانه ، واتجه فى هدوء إلى قاعدة خزان المياه الرئيسى ، والمضخات الضخمة المرتبطة به ، والمسئولة عن ضخ المياه إلى محطات التقوية الفرعية ، التى تمدّ العاصمة كلها بالماء النقى ، وألصق بها ثلاثة أقراص أرجوانية متألِّقة ، ثم تراجع يلقى نظرة على جثتى المهندسين ، قبل أن يشير إلى الحيوانين ، قائلًا :

ـ هيّا .. المهمة انتهت .

وغادر المكان فى خطوات واسعة سريعة ، مستطردًا :

ـ تقريبًا ..

وعندما انطلقت به سيارته ، التى راحت تختفى تدريجيًا ، دوى الانفجار الرهيب ..

وفقدت (القاهرة الجديدة) عاملًا حيويًا للغاية ..

المياه النقية ..

★ ★ ★

تنهّدت الخبيرة البيولوجية (هناء حمّاد) فى إرهاق ، وتراجعت فى مقعدها ، وهى تضغط عينيها ، قائلة :

ـ ليس هذا بالأمر السهل يا (نور) .. صحيح أننى أجريت الكثير من الأبحاث ، حول بقايا الكائن ، الذى عثرتم عليه فى الصحراء الغربية ، ولدى خريطة تركيبه الجينى كاملة ، ولكن تحقيق ما تطلبه عسير للغاية .

اعتدل (نور) فى مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ أعلم هذا ، ولكن النتائج التى يمكن الحصول عليها منه ستكون بالغة الأهمية .. إننا نحتاج إلى معرفة نوع الغذاء ، الذى تتغذّى به هذه الوحوش .. إنها ليست آكلة لحوم كما نعتقد ، على الرغم من أنها تتصرَّف كالوحوش المفترسة ، وربما لو عرفنا بم تتغذَّى ، لأمكننا حصر الأمر فى ...

قاطعته فى توتر :

ـ هذا مستحيل تقريبًا .. الخريطة الجينية للحيوان يمكنها أن تحدِّد حجمه ، أو طبيعته ، أما الغذاء ، فهو عادة مكتسبة ، يمكن تغييرها بالإصرار والمتابعة ، فالأسد المفترس ، آكل اللحوم ، يمكن تحويله إلى حيوان نباتى ، لو تمت تربيته فى بيئة نباتية مثلًا .

تنهّد وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :

ـ لا ريب فى أن هناك وسيلة ما .. لا ريب .

ألقت نظرة على ساعة يدها ، وأجابت فى توتر :
- دعنا نبحث عنها فى يوم آخر يا (نور) .. إننى أعمل منذ الصباح الباكر ، والساعة تجاوزت الواحدة ، بعد منتصف الليل .
غمغم فى حرج :
- معذرة .. يبدو أننى لم أنتبه إلى هذا .
همّت بالنهوض ، وضغطت زر إغلاق الكمبيوتر ، ولكنه سألها فجأة :
- وماذا عن البصمة الجينية ؟
التفتت إليه تسأله :
- ماذا عنها ؟
أجابها فى حماس :
- المعروف أن لكل كائن بصمة جينية ، تختلف عن غيره من الكائنات .. أليس كذلك ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :
- بلى .. هناك بصمة جينية عامة لكل نوع من الكائنات ، وهناك أيضًا بصمة جينية معينة وخاصة جدًا ، لكل مخلوق على حدة ، لا تتشابه معه فيها أية بصمة جينية أخرى .
قال فى اهتمام :
- عظيم .. هذا يعنى إذن أن لتلك الكائنات بصمة جينية يمكن تعقبها .
انعقد حاجباها ، وهى تسأل فى حذر :
- ماذا تعنى ؟
أجاب بنفس الحماس :
- أعنى .. ألا توجد وسيلة خاصة ، يمكننا بوساطتها تعقّب هذه الكائنات ، عن طريق بصمتها الجينية العامة ؟.. أو بمعنى أدق .. هل يمكننا تزويد جهاز ما بالبصمة الجينية للوحوش ، بحيث يبحث عنها فى كل مكان .
ازداد انعقاد حاجبيها ، وتراجعت فى اهتمام ، وشبكت أصابع كفيها أمام وجهها ، وهى تقول :
- وهل يمكن أن يفيد هذا ؟
أجاب بسرعة :
- بالتأكيد .. خصمنا اللعين هذا لا يتحرّك إلا بصحبة وحوشه المفترسة ، ولو أمكننا تتبُّعها بوسيلة ما ، سنصل إليه حتمًا .
تراجعت فى مقعدها أكثر ، وبدت عليها علامات التفكير العميق ، قبل أن تعتدل قائلة فى حماس :
- نعم .. أعتقد أن هذا ممكن .
وعادت تشغّل جهاز الكمبيوتر ، وكأنما ذهب عنها إرهاقها وضجرها إلى غير رجعة ، وهى تستطرد :

- الفكرة ليست جديدة تمامًا ، فقد لجأ إليها اليابانيون ذات يوم ، فى نهايات القرن العشرين ، لتعقب الفئران ، التى تكاثرت على نحو غير طبيعى ، فى عاصمتهم (طوكيو)(*) .

قالتها ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر فى حماس ، ثم تابعت :

- كان هذا فى أوائل عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين .. آه .. ها هى ذى تفاصيل الأمر .

راجعت البيانات فى سرعة ، قبل أن تهتف :

- نعم .. نستطيع استغلال الفكرة ، وتطويرها أيضًا .

سألها فى اهتمام :

- ومتى يمكننا صنع جهاز كهذا ؟

لوّحت بيدها ، قائلة :

- فى غضون يومين على الأكثر .

تنهّد قائلاً :

- آملُ أن ينجح هذا .

قالت فى حماس شديد ، وهى تواصل الضغط على أزرار الكمبيوتر :

- بإذن الله .

(*) حقيقة .

نهض يسألها :

- والآن .. هل أنت مستعدة للرحيل ؟

لوّحت بسبّابتها نفيًا ، وهى تقول فى حماس :

- كلاّ .. لدى بعض العمل .

ابتسم وهو يهمّ بالانصراف ، وغمغم :

- فليكن .. سأذهب أنا إلى ...

قبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، ارتجّت له جدران المعمل ، فهتف (نور) فى حنق :

- لا .. ليس ثانية .

والتقط جهاز الاتصال فى حزامه ، ليهتف :

- ماذا حدث الليلة ؟

أجابه الضابط المناوب للإدارة فى توتر شديد :

- أعتقد أنها الشبكة الرئيسية للمياه النقية .. إننا نرى النيران من هنا .. يا إلهى !.. إنها إصابة عنيفة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يندفع إلى الحوض الصغير فى معمل (هناء) ، وفتح صنبور المياه ، وهتف :

- إنهم على حق للأسف .

سألته (هناء) فى توتر :

- ماذا حدث ؟

أجابها فى غضب :

ـ حدث أن خصمنا تمادى كثيرًا هذه المرة ، وأصبح علينا أن نبذل قصارى جهدنا لوقفه ، فى أقرب فرصة ممكنة .

قالها ، واندفع يغادر المكان ، وقد امتلأت نفسه بالأسف .. وبالغضب ..

★ ★ ★

« لا يمكننا احتمال المزيد يا (نور) .. » .

هتف الدكتور (ناظم) بالعبارة فى حنق شديد ، وهو يلوّح بذراعه كلها فى وجه (نور) ، قبل أن يتابع فى حدة :

ـ لقد انتقل خصمنا من مرحلة الحرب العسكرية ، إلى التخريب والتدمير للبنية الأساسية للمجتمع ، والسعى لتحطيم الروح المعنوية للشعب ، ودفعه إلى الثورة .

غمغم (نور) :

ـ الشعب لن يثور بهذه البساطة يا سيّدى .

أجاب القائد الأعلى :

ـ الدكتور (ناظم) على حق يا (نور) .. فالناس يمكن أن تشعر بالخوف والقلق ، عندما يتم نسف المنشآت الدفاعية العسكرية ، إلا أن هذا يتحوّل إلى الارتياع والغضب ، عندما يحرمهم الهجوم أمنهم وراحتهم .. لقد نسف ذلك اللعين شبكة المياه النقيّة الرئيسية ، وفقد الناس أهم عامل حيوى لحياتهم اليومية ، وما أن يبدءوا السعى للحصول على المياه ، حتى يتفجّر سخطهم ، ويتوجّه غضبهم كله إلينا ، وتصبح أمامنا مشكلة مزدوجة ، فنطارد ذلك الوغد ، ونحاول تهدئة الناس فى الوقت ذاته .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ من يدرى ؟.. ربما نسف مفاعلات توليد الكهرباء أيضًا .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، قائلاً :

ـ لقد أصدر السيّد رئيس الوزراء أوامره بفرض حراسة قصوى على كل مفاعلات توليد الكهرباء ، وعلى مصادر طاقتها أيضًا ، وأصدر قرارًا بحظر التجوال حولها ، لمسافة كيلو متر كامل ، وبمراقبتها طوال الأربع والعشرين ساعة ، بالأقمار الصناعية العسكرية ، وإطلاق النار على كل من يقترب من نطاق الحظر دون إنذار .

قال الدكتور (ناظم) فى حنق :

ـ أتعتقد أن هذا يكفى ؟

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ هذا أقصى ما لدينا .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ ولكنه لا يكفى .. لو أننا اكتفينا بلعبة الدفاع هذه طوال الوقت ، فسينتصر علينا ذلك الوغد حتمًا .. يجب أن ننتقل من الدفاع إلى الهجوم .. لا يكفى أبدًا أن نجلس هنا ، فى انتظار ضربته التالية ، دون أن نعلم حتى متى يقوم بها .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الليلة .

التفت إليه القائد الأعلى والدكتور (ناظم) فى دهشة ، وسأله الأخير :

ـ وكيف يمكنك الجزم ، بكل هذه الثقة ؟

أجاب (نور) :

ـ لو راجعت أعماله ، لوجدت أنه يميل إلى الهجوم مرتين فى كل ليلة يا سيِّدى .

وانعقد حاجباه فى فترة صمت ، أضاف بعدها فى صرامة :

ـ ودائمًا قبل شروق الشمس .

صمت الرجلان لحظات ، قبل أن يقول القائد الأعلى ، وهو يتطلَّع إلى ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة صباحًا :

ـ إذن فعلينا أن نتوقَّع ضربة ثانية ، خلال الساعات الثلاث القادمة .

أجاب (نور) :

ـ أعتقد هذا يا سيِّدى .

تبادل القائد الأعلى نظرة ملؤها القلق ، مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول هذا الأخير فى توتر :

ـ السؤال إذن هو أين ؟... أين يضرب ضربته القادمة ؟

نعم .. هذا هو السؤال ..

أين ؟..

★ ★ ★

تردَّد السؤال فى رأس (نور) فى إلحاح ، وهو ينطلق بسيارته الجديدة إلى المستشفى المركزى ، للاطمئنان على زوجته (سلوى) ، و(مشيرة) زوجة (أكرم) ، فى الرابعة صباحًا ..

كان هناك شىء ما ، فى عقله الباطن ، يشعره بحيرة وقلق لا حدود لهما ..

شىء يتعلَّق بالتوقيت ، الذى يصرّ عليه (ليدر) دائمًا ..

شىء له أهمية قصوى ..

ولكن ما هو ؟!..

ما هذا الشىء ؟!..

عقله الباطن يدركه جيدًا ، ويدرك أنه كامن فى مكان ما من أعماقه ، ولكنه يعجز عن انتشاله إلى واقعه ، و ...

وفجأه ، ضغط (نور) دواسة الفرامل بكل قوته ..

وتوقفت السيّارة إلى جانب الطريق ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ ربّاه !.. هل ..

لم يكن يصدّق ما لمحته عيناه ، عند ناصية الطريق ، خلف تلك البنايات الكبيرة ..

لم يكن يصدّق أنه لمح أحد حيوانى (الميناروس) ..

وفى حماس ، وثب خارج سيارته ، واستلّ مسدسه ، واسرع نحو الناصية ، و ...

ورآه ..

كان ذلك الحيوان المخيف يدور حول نفسه فى بطء ، وأنفه يتشمّم الأرض ، فى الممر الضيق بين البنايات ..

ثم فجأة ، اعتدل ، وتطلّع ناحية (نور) ..

ولوهلة ، تصوّر (نور) أن (الميناروس) رآه ، وأنه سينقضّ عليه على الفور ، إلا أن الحيوان أدار رأسه فى بطء ، ثم تحرّك فى خطوات متئدة ، وكأنما يتخذ طريقه عائدًا إلى منزله ..

ومن الزاوية التى يقف فيها (نور) ، كان من السهل عليه أن يطلق أشعة مسدسه على رأس (الميناروس) ، ويرديه قتيلا على الفور .

إلا أنه لم يفعل هذا ..

لم يفعله ؛ لأن جزءًا من نفسه يبغض القتل وإراقة الدماء بطبيعته ..

والجزء الآخر يدفعه إلى تعقب (الميناروس) ..

لقد شعر أنها فرصة نادرة ، للوصول إلى مخبأ (ليدر) ، فذلك الحيوان يلازمه دومًا ، وسيعود إليه حتمًا ..

وفى خفة وحذر ، راح (نور) يطارد (الميناروس) ، عبر الطرقات الساكنة الهادئة ، والحيوان يتحرّك فى هدوء مثير ، وينتقى أفضل الطرق ، وأكثرها أمنًا وهدوءًا ، وكأنما يحمل فى عقله خريطة دقيقة كاملة ، للمدينة كلها ..

ولم يدر (نور) كم استغرقت المطاردة ، ولكنه وجد نفسه فى النهاية يتجاوز حدود العاصمة الجديدة ، ويغوص وسط أطلال العاصمة القديمة ..

ثم انحرف (الميناروس) فى طريق جانبى ، وأسرع (نور) خلفه ، وهو يتمتم :

ـ رويدك يا هذا ، فلست مستعدًا لفقدك بهذه البساطة .

اندفع إلى ذلك الطريق الجانبى ، وتوقّف مبهوتًا ، عندما وجده خاليًا إلى نهايته ، فضاعف من سرعته ، حتى بلغ آخر الطريق الخالى ، وانعقد حاجباه هناك ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ أين ذهب ذلك الحيوان ؟

انبعث من خلفه زمجرة خافتة ، جعلته يستدير بسرعة مدهشة ، ويشهر مسدسه الليزرى ، و ...



ثم انحرف (الميناروس) فى طريق جانبى ، وأسرع (نور)

ولكن كرة هلامية عجيبة ارتطمت بالمسدس ، وأطاحت به فى عنف ، فى نفس اللحظة التى وقع بصر (نور) فيها على خصمه ..

على (ليدر) ..

وفى تلك اللحظة فقط ، عرف (نور) جواب السؤال ، الذى ظلّ يتردّد فى أعماق رأسه طويلاً ..

عرف موقع الضربة الثانية لـ (ليدر) ...

★ ★ ★

كان المشهد رهيبًا بحق ، فى تلك الليلة ، وسط أطلال العاصمة القديمة ..

(نور) يقف فى نهاية طريق ضيق ، وحوله أطلال مبان قديمة من الجانبين ، وعند الطرف الثانى للطريق يقف (ليدر) ، بوجهه النحيل المخيف ، وعينيه العميقتين الغائرتين ، يحدجه بنظرة ملؤها الظفر والشماتة ، وإلى جواره يقف أحد حيوانى (الميناروس) ، فى حين يتجه إليه الثانى من بعيد ، بعد أن أنهى مهمته ..

أما تلك الكرة الهلامية ، فقد أطاحت بمسدس (نور) ، ثم دارت حول نفسها ، وانطلقت عائدة إلى يد (ليدر) ، الذى التقطها فى بساطة ، ودسّها فى حزامه ، ووقف يتطلّع إلى (نور) ، الذى قال فى توتر :

ـ لعبة متقنة يا (ليدر) .. لم أتوقَّع أبدًا أنك تستدرجنى إلى هنا .

أجابه (ليدر) بصوته العميق المخيف ، ولكنته الغريبة .

ـ لم يكن بإمكانك قط أن تتوقَّعه .

نطقها فى غرور شديد ، يمتزج بشماتة لا حصر لها ، قبل أن يتابع :

ـ لقد درست ملفك كله أيها المقدّم .. هو أيضًا كان ضمن المعلومات باللغة السرية .. ولقد عرفت منه الكثير عنك .. عرفت أنك لن تطلق النار على (ألفا) ، وهى تقودك فى براعة إلى هنا ؛ لأنك تبغض القتل وسفك الدماء ، كما أن غرورك سيصوِّر لك أنها فرصة مثالية لمعرفة مخبئى ، وسيدفعك إلى تعقبها وحدك ، دون الاستعانة بالآخرين .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ وهكذا سقطت فى الفخ .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ إذن فهذا الشىء يفكر .

هزَّ (ليدر) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ (الميناروس) ليس كائنًا مفكرًا ، ولكنه يستطيع الاتصال بسيِّده فكريًا ، وهذا يعنى أنه يطيع أوامرى بذكاء جيِّد ، ويمكننى أن أقوده بذهنى ، مهما تباعدت المسافة بيننا .

ران عليهما الصمت لحظة ، فزمجر أحد الحيوانين ، وكأنما يستحثّ سيِّده على إصدار حكم الإعدام على (نور) ، لينطلق نحوه ، ويمزِّقه بمخالبه وأنيابه بلا رحمة أو شفقة ..

ثم قطع (نور) حبل الصمت ..

قطعه ، وهو يسأل (ليدر) :

ـ لماذا يا (ليدر) ؟.. لماذا تهاجم عالمى بهذه الشراسة ؟

ابتسم (ليدر) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لدى أسبابى أيها المتحذلق .

قال (نور) فى حدة :

ـ لن يمكنك الاحتفاظ بها سرًّا إلى الأبد يا (ليدر) .. سأتوصَّل إليها إن عاجلًا أو آجلًا .

هزَّ (ليدر) رأسه نفيًا فى بطء ، قبل أن يقول :

ـ خطأ أيها المغرور .. إنك لن تتوصَّل إلى شىء ، لسبب بسيط للغاية .

ورفع يده الممسكة بالكرة الأرجوانية القاتلة ، وهو يستطرد فى غضب صارم :

ـ لأنك ستموت الآن .

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وعيناه تبحثان عن المخرج ، ولكن ..

لم يكن هناك مفر من الموت هذه المرة ..

أى مفر .

٩ ـ دماء وسط الأطلال ..

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، وهى تستعيد وعيها ، فى المستشفى المركزى ، وهتفت معتدلة على فراشها :

ـ (نور) !

أسرعت إليها ممرِّضة القسم ، وهى تقول :

ـ رويدك يا سيِّدتى .. رويدك .. حمدًا لله على سلامتك .

تلفَّتت (سلوى) حولها ، وهى تسأل فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟.. أين أنا ؟

أجابتها الممرضة محاولة تهدئتها :

ـ أنت هنا يا سيِّدتى ، فى جناح سرى خاص ، فى قبو المستشفى المركزى .. لقد تعرَّضت لأحداث عنيفة ، ولكنك نجوت والحمد لله .

استعادت (سلوى) ذاكرتها دفعة واحدة ، مع حديث الممرضة ، فسألت فى لهفة :

ـ و(نور) .. ماذا عن (نور) ؟

أجابت الممرضة بابتسامة كبيرة :

ـ أتقصدين المقدَّم (نور الدين) ؟.. إنه بخير حال يا سيِّدتى .. اطمئنى .. لقد اتصل هاتفيًا منذ قليل ، وقال إنه فى طريقه إلى هنا ، ليطمئن على صحتك ، والمتوقع أن يصل قريبًا .

خفق قلب (سلوى) ، مع العبارة الأخيرة للممرضة ..

نعم .. المتوقع أن يصل قريبًا ..

ولكن لماذا هذا الذعر فى أعماقها إذن ؟!..

لماذا تشعر وكأن زوجها يواجه خطرًا رهيبًا ؟!..

لماذا تشعر وكأنها لن تراه ثانية ؟!..

لماذا ؟..

لماذا ؟!..

لماذا ؟؟!..

وبقى سؤالها هذا حائرًا فى أعماقها ..

وبلا جواب ..

★ ★ ★

لم يكن هناك مفرّ من الموت بالفعل ..

لقد فقد (نور) مسدسه ، وسُجن بين جدران الأطلال ، فى نهاية طريق ضيق محدود ..

و(ليدر) يصوِّب إليه كرته الأرجوانية القاتلة ، ولا يحتاج إلا لضغطة بسيطة ..

ضغطة واحدة ، تنطلق بعدها الصاعقة ، و ...
وتكون النهاية ..
ومن ذلك البريق ، الذى أطلَّ من عينى (ليدر) ، أدرك (نور) أنه لن يتردَّد لحظة واحدة فى ضغط جانبى الكرة ..
وأن الصاعقة ستنطلق لا ريب ..
ولكن فجأة ، ردَّدت الأطلال القديمة صوتًا لم يعد مألوفًا فى ذلك العصر ..
صوت رصاصة ..
رصاصة تقليدية ، عبرت مسافة طويلة ، قبل أن تصيب يد (ليدر) ، الذى أطلق صرخة ألم غاضبة قوية ، وكرته الأرجوانية تسقط من يده ، وتتدحرج أرضًا ثم تهوى داخل فتحة صرف قديمة ..
وفى اللحظة التالية ، ظهر (أكرم) ..
وثب يعتلى جدارًا قديمًا ، وهو يحمل مسدسه التقليدى الجديد ، والدخان يتصاعد من فوهته ، وهو يهتف ساخرًا .
- مرحبًا أيها الوغد .. لا تتصوَّر أننى أخطأت التصويب ، فقد وددت من أعمق أعماق قلبى ، أن أطلق النار على رأسك مباشرة أو على تلك الكرة القذرة ، لتنفجر بين أصابعك ، وتطيح بك من دنيانا إلى الأبد ، ولكننى خشيت أن يصاب صديقى (نور) مع انفجارها ، أو يغضب لأننى أزحتك من طريقه ، قبل أن يطرح عليك كل ما يحترق فى رأسه الفولاذى من أسئلة .
زمجر (ليدر) مع وحشيه فى غضب ، وهو يمسك يده المصابة ، فى حين هتف (نور) فى دهشة ، يشوبها الكثير من الفرح :
- (أكرم) .. كيف وصلت إلى هنا ؟
ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وهو يجيب :
- هل تصوَّرت أنه من السهل إزاحتى عن العملية برمتها يا صديقى ؟!.. هيهات .. (أكرم) ليس من ذلك الطراز ، الذى يمكن استبعاده فى سهولة ، حتى مع الأوامر الرسمية .. لقد استخدمت معك كل ما علمتنى إيَّاه ، فى لعبة المخابرات .. راقبت المكان ، حتى رأيتك تنصرف فى سيارتك الجديدة ، فتبعتك فى حذر ، من مسافة بعيدة ..
ثم أشار بمسدسه ، مستطردًا :
- ويبدو أن هذا كان لحسن حظك .
ندت من (ليدر) حركة غاضبة عنيفة ، فصوَّب إليه (أكرم) مسدسه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :
- إيَّاك .. حركة إضافية واحدة ، منك أو من وحشيك الطريفين ، وأثقب جمجمتك برصاصة مباشرة ، قبل أن تبلغنى أنيابهما أو مخالبهما .

ثم وثب من مكانه ، واتجه إلى (نور) ، مستطردًا :

ـ ألا توافقنى على هذا يا صديقى ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

ثم التفت إلى (ليدر) ، قائلاً :

ـ أعتقد أنك مستعد للإجابة عن سؤالى الآن يا (ليدر) .

قال (ليدر) فى برود :

ـ أى سؤال ؟

سأله (نور) فى صرامة :

ـ لماذا تفعل كل هذا ؟

انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ، وهو يحدج (نور) بنظرة نارية ، قبل أن يجيب فى صوت عميق ، تكاد نبراته تشتعل من شدة الغضب والثورة :

ـ لأنتقم .

خُيِّل لـ (نور) أنه سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه انفجر فجأة فى انفعال جارف :

ـ لقد اقتحمتما عالمى ، وأفسدتما كل شىء فيه .. حطمتما نظمنا ، وقوانيننا ، وستار السرية ، الذى أحطنا به أنفسنا منذ زمن الأجداد .. وفى النهاية ، دمرتما بوّابتنا ، وسجنتمونا داخل عالمنا إلى الأبد .

قال (أكرم) فى سخرية :

ـ وكيف هذا ، وقد عدت إلينا أيها الوغد ؟

أجابه (ليدر) فى مقت :

ـ لقد عدت إليكما عبر مخرج خاص للطوارئ ، لا يمكن استخدامه إلا مرة واحدة ، وفى اتجاه واحد فقط .

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ مرة واحدة ؟ وفى اتجاه واحد فقط ؟!.. أتعنى أن رحلتك إلينا كانت بلا عودة ؟!

لوَّح (ليدر) بذراعيه ، وهو يصرخ كالمجنون :

ـ ومن يحتاج إلى العودة ؟!

ثم أشار إليهما ، مستطردًا :

ـ لقد عدت لأنتقم منكما .. لتدفعا ثمن إفساد عالمى كله .. وأعظم وسيلة لتحقيق هذا هى السيطرة على عالمكما كله .. لقد عدت لأمتلك عالمكما فى قبضتى .

ولوَّح مرة أخرى بذراعيه ، صائحًا :

ـ لأصبح سيِّد عالمكما المطاع ، السيِّد الذى ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ الذى خرج منبوذًا من عالمه .

انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة وغضب ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين واصل (نور) فى حزم :

ـ أيّ مخلوق أنت يا (ليدر) ؟.. هل تصوّرت أنه بإمكانك أن تحقق هنا ما فشلت فيه فى عالمك ؟!.. هل ظننت أنك ستخرج هاربًا من عالمك ، فترسم بفشلك تاريخ عالمنا ومستقبله ؟

ازداد انعقاد حاجبى (ليدر) ، فى حين ردّد (أكرم) فى دهشة حذرة :

ـ هاربًا ؟!

لوّح (نور) بكفه ، قائلاً :

ـ وماذا تصوّرت يا صديقى ؟!.. بالطبع هو هارب من عالمه .. هارب بعد أن أدرك شعبه مقدار خسته ونذالته ، وخيانته لإمبراطوره ، وغدره به(*) .. من غير شخص يائس ، يغامر بعبور مخرج طوارئ خاص ، وسرى ، سيعزله عن عالمه مدى الحياة ؟!.. من سوى شخص لا يمكنه العودة إلى عالمه قط ، وإلا لقى هناك عقوبة أشدّ من الموت ؟.. من ؟

كان وجه (ليدر) يحتقن ، ويحتقن ، و (نور) يواصل حديثه العنيف ، حتى بلغ نقطة الذروة ، فصرخ (ليدر) فى جنون ، وهو يلوّح بذراعه فى عنف :

ـ لا .. لا يمكنك أن تعرف كل هذا .

(*) راجع قصة (الأرض المفقودة) .. المغامرة رقم (١٠٣) .

بدا لهما ثائرًا غاضبًا ، ولكن فجأة ، انتبه (نور) إلى ما فعله ذلك النحيل ، ولمح تلك الكرة الهلامية تندفع نحو مسدس (أكرم) ، فوثب نحوه ، هاتفًا :

ـ احترس يا (أكرم) .

وفى نفس اللحظة التى جذب فيها زميله ، أصابت الكرة الهلامية مسدس (أكرم) ، وألقته جانبًا ، وصرخ (ليدر) :

ـ (ألفا) .. (بيتا) ..

ومع صرخته ، انطلق الوحشان نحو (أكرم) و (نور) .. انطلقا وكل منهما يحمل أنيابه ..

ومخالبه ..

★ ★ ★

كان الموقف كله كفيلاً بتحطيم أعصاب أقوى الرجال وأشجعهم ..

وحشان رهيبان ، ينقضّان فى شراسة مخيفة ، وأنيابهما الحادة تضرب الهواء فى قوة ، ومخالبهما شبقة لتمزيق الصدور والأجساد ، بلا شفقة أو رحمة ..

وقاتل دموى مجنون ، يقف فى نهاية طريق مسدود ، وصرخاته الثائرة ترج المكان ..

ولكن العجيب أن هذا كله لم يكف لتحطيم أعصاب (أكرم) و (نور) ..

وبالذات (أكرم) ..

لقد شعر بغضب شديد ، عندما أطاحت تلك الكرة الهلامية بمسدسه ، وتضاعف غضبه هذا ، عندما أطلق (ليدر) وحشيه ..

وبكل طاقة الغضب فى عروقه ، وثب (أكرم) ..

وثب نحو مسدسه ، والتقطه فى براعة ، ثم دار حول نفسه على الأرض ، وصرخ :

- خسرت أيها الوغد .

وضغط زناد المسدس ..

ووسط الأطلال القديمة ، تردَّد دوى الرصاصات ..

رصاصات اخترقت جمجمة (بيتا) وصدرها وكسرت قرنها الطويل الوحيد ، وأصابت (ألفا) فى جانبها وفخذها ..

وفرغت رصاصات المسدس كلها ، مع الطلقات المتصلة ، فألقى (أكرم) خزانته فى سرعة ، والتقط من جيبه خزانة مملوءة ، و...

وانطلقت صرخة (ليدر) ..

صرخة غاضبة ثائرة مخيفة ، ارتجَّت لها الأطلال كلها ..

صرخة رجل فقد عزيزًا ..

كان قائد (لانتس) يشتعل غضبًا ، لأنه فقد أحد وحشيه ..

وبكل هذا الغضب صرخ ..

وهتف :

- لا .. لا ..

ثم انتزع شيئًا ما من حزامه ، مستطردًا :

- ستدفعان الثمن .. ستدفعان الثمن غاليًا .

كانت (ألفا) تتراجع بفخذ مصابة ، والدماء تنزف من جانبها ، و(نور) يقفز ملتقطًا مسدسه الليزرى ، و (أكرم) يحاول وضع خزانة الرصاصات الجديدة فى مسدسه ، عندما قذف (ليدر) ذلك الشىء بكل قوته ..

كان عبارة عن قرص صغير ، تضخم بسرعة ، عندما اندفع نحوهما ، ثم انفجر فجأة ، وخرجت منه عشرات الفقاعات ، التى انقضَّت على (أكرم) و (نور) ، فهتف الأوَّل :

- مرحى يا (نور) .. يبدو أنه تدريب جديد .

وبسرعة مدهشة ، ألصق كل منهما ظهره بظهر الآخر ، وراحا يطلقان مسدسيهما على تلك الفقاعات ، وهما يدوران حول بعضهما فى سرعة ومهارة ، طبقًا لمقتضيات الموقف ..

وانفجرت تلك الفقاعات ..

انفجرت بأشعة (نور) ، ورصاصات (أكرم) ، دون أن تفلت منها فقاعة واحدة ..



و (نور) يقفز ملتقطا مسدسه الليزرى ، و (أكرم) يحاول

كان كل منهما يطلق مسدسه فى براعة منقطعة النظير ، ويصيب أهدافه بدقة مدهشة ، دون أن يدرك ما يمكن أن تفعله بهما تلك الفقاعات ، لو أفلتت منهما ، واستطاعت بلوغ جسديهما ..

ومع آخر فقاعة تنفجر ، هتف (أكرم) :

ـ فعلناها .. فعلناها يا (نور) .. أخبر هؤلاء الحمقى فى الإدارة باللّه عليك .. قل لهم : إن (أكرم) أصاب الأهداف كلها بمسدسه الجديد ، وأنه ..

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ خسر معركته هو و (نور) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ خسر ماذا ؟

ثم تحركت عيناه إلى حيث (نـور) ، وأدرك على الفور ما كان يعنيه بعبارته ..

لقد نجحا فى القضاء على كل الفقاعات ، ولكـن (ليدر) اختفى ..

اختفى تمامًا ..

★ ★ ★

« أفلت منكما ؟!.. »

هتف القائد الأعلى بالعبارة فى إحباط ، وهو يجلس فى مكتبه ، الذى وصل إليه مع شروق الشمس ، وتابع فى أسف ، موجهًا حديثه إلى (نور) :

- يا للخسارة !.. إنها المواجهة الأولى بينكما ، وكانت فرصة نادرة للإيقاع به .

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

- من حسن الحظ أنه لم يوقع بنا نحن يا سيدى .. لقد أعدّ فخًا بارعًا ، كاد يظفر بى فيه ، لولا تدخل (أكرم) فى الوقت المناسب .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى اهتمام ، وهو يسأله :

- ألهذا توصى بعودة (أكرم) إلى الفريق ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- أعتقد أنه يستحق هذا يا سيدى ، وليس لإنقاذه حياتى أى دخل بقرارى هذا ، وإنما اتخذته بشكل عقلانى بحت ، فنجاحه فى تعقبى ، دون أن أنتبه إلى هذا ، على الرغم من خبراتى السابقة ، وذكاؤه فى إطلاق النار على يد (ليدر) بالتحديد ، مقاومًا نزعاته الشخصية ، وقتل ذلك الوحش ، وإصابة الآخر ، ونجاحه فى تفجير كل الفقاعات ، التى انطلقت نحونا ، كلها عوامل أقنعتنى بأنه يستحق العودة إلى الفريق .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- على الرغم من تقرير المدرّب ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- على الرغم من أى شىء آخر .

صمت القائد الأعلى لحظات ، وتبادل نظرة سريعة مع الدكتور (ناظم) ، ثم قال :

- فليكن يا (نور) .. سأصدر قرارًا بإعادة (أكرم) إلى الفريق ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

وأضاف الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- أعتقد أن المرحلة القادمة تحتم وجوده ؛ بعد ما حدث الليلة .

التفت إليه (نور) ، فى تساؤل ، فأضاف :

- لقد أثرتما (ليدر) هذا ، وقتلتما أحد وحشيه ، الذين يرتبط بهما عقليًا ، فما الذى تتوقعانه منه بعد هذا ؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يهضم العبارة فى بطء .. الدكتور (ناظم) محق تمامًا فى رأيه هذا ..

لقد اشتعل غضب (ليدر) وجنونه الليلة ..

ومن المنطقى أن هذا لن يمضى بسهولة ..

(ليدر) سينتقم حتمًا ..

سينتقم بكل قوته ..

وبكل جنونه ..

★ ★ ★

رددت جدران المخبأ النووى القديم تلك الصرخات الرهيبة ، التى يطلقها (ليدر) ، بكل الغضب والمقت والثورة فى أعماقه ..

لم يكن يحتمل أبدًا ما أصابه ، على يدى (نور) و(أكرم) ..

لم يكن باستطاعته أن يهضم ما أصاب وحشيه المدللين ..

لقد فقد (بيتا) ، وأُصيبت (ألفا) إصابات مباشرة ، وفقد واحدًا من أخطر أسلحته ، مع إصابته برصاصة فى يده ..

ولكن الأكثر خطورة هو أنه فشل ..

فشل لأوّل مرة ، منذ اقتحم هذا العالم ..

فشل فى العالم ، الذى قرّر محاربته ، والسيطرة عليه ..

وهذا ما لا يمكن احتماله ..

ولهذا صرخ ..

صرخ والغضب يلتهم كيانه كله ، ويسرى فى عروقه ، التى يجرى فيها مجرى الدم ..

كانت ثورة الغضب تشتعل فى صدره ، وينفثها حممًا مع أنفاسه الملتهبة ، وهو يفتح صندوقًا صغيرًا ، اصطحبه معه من عالمه ، ويخرج منه اسطوانة رفيعة ، مرّرها على إصابة يده فى بطء ، وهو يقول فى غضب :

ـ سيدفعان الثمن .. عالمهما كله سيدفع الثمن .

وانطلقت من حلقه صرخة قوية ..

صرخة لم يكن مبعثها الغضب هذه المرة ..

وإنما الألم ..

كان هناك شعاع برتقالى رفيع ، يخرج من قمة الاسطوانة ، ويصيب خلايا يده مباشرة ، وهى تستجيب له على نحو عجيب ..

تلتئم ..

ولدقائق عشر تقريبًا ، واصل (ليدر) صرخات الألم ، حتى التأم جرح يده تمامًا ، وهنا راح يلهث ، وكأنما بذل جهدًا عنيفًا ، قبل أن يلتفت إلى (ألفا) ، قائلاً فى توتر :

ـ حان دورك .

توتر الحيوان على نحو واضح ، وزمجر فى عصبية ، فربّت عليه (ليدر) فى رفق عجيب ، لا يتناسب مع شخصيته قط ، وهو يقول :

ـ أعلم أن هذا يؤلم ، ولكن لا مفرّ منه .

أطلق الحيوان صوتًا رهيبًا ، والاسطوانة الرفيعة تمرّ على جراحه ، وراح يزمجر فى ألم شديد ، و (ليدر) يحتضنه بيسراه ، ويطلق الأشعة البرتقالية الشافية بيمناه ..

وفى هذه المرة ، استغرق الأمر نصفْ ساعة كاملـة ، حتى التأمت جراح (الميناروس) تمامًا ، فقبع أرضًا ، وراح يلهث فى شدة ، فنهض (ليدر) ، وقال فى مقت :

ـ سيدفعون الثمن يا (ألفا) .. سيدفعون الثمن .. دماء (بيتا) لن تذهب هباءً .

ثم اتجه إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بـه ، وراح يراجع الرسوم التى لديه ، قبل أن يصرخ :

ـ سيدفع الجميع الثمن .

وكانت صرختـه هذه المرة إيذانًا بتطور جديد فـى المعركة ..

تطوّر بالغ العنف ..

وبالغ الخطورة .

★ ★ ★



١٠ ـ ضربة قاصمة ..

تحرّك (نور) فى حذر ، عبر الأطلال القديمة ، وهو يمسك مسدسه الليزرى فى قوة ، ويتلفّت حولـه فـى توتر ، متتبعًا تلك الآثار فوق الأرض المتربة ..

آثار (الميناروس) ..

كانت الآثار منتظمة على نحو مثير للشك ، والموقف كله يوحى بوجود فخ جديد ، إلا أن (نـور) واصل طريقه فى إصرار ، على الرغم من الظلام ، الذى ينتشر فى سرعة ، مع ذلك الضباب الخفيف ، الذى يأتى من بعيد ، ويغمر كل شىء مع مرور الوقت ..

ثم فجأة ، انزلقت الأرض من تحت قدمى (نور) ..

انزلقت بسرعة ، جعلته يفقـد توازنـه ، ويسقط على الأرض ..

إلا أن الأرض لم تحسن استقباله ..

لقد انهارت تحته فور سقوطه ، وهوى معها داخل أنبوب ضخم ، تدحرج داخله فى عنف ، طوال ستة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط داخل كهف عميق ..

كهف واسع كبير ، تضىء جدرانه أضواء فيروزيـة ، غير واضحة المصدر ، وأرضه مصقولة ، تجمع ما بين الليونة والصلابة .

وفى دهشة ، هتف (نور) :

ـ عجبًا !.. هل عدت إلى (لانتس) ؟

تردّد صوته فى المكان بصدى متكرّر ، على نحو أدهشه وأقلقه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وأدار عينيـه فيما حولـه فى حذر ، ثم راح يتقدّم عبر الكهف العميق ، وهو يقدّم قدمًا ويؤخر أخرى ، والضباب يتسلّل إليـه ، عبر الأنبوب الضخم ، ويعيق الرؤية تدريجيًا ..

وفجأة ، وقع بصره على (ليدر) ..

وتراجع فى دهشة ..

لقد كان قائد (لانتس) راقدًا داخل تـابوت زجاجى ، فى نهاية النفق ، وإلى جواره يقف (الميناروس) جامدًا ، كتمثال من الشمع ..

وفى دهشة ، غمغم (نور) :

ـ ما الذى يفعله هنا ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى نهض (ليدر) فى بطء مـن التابوت الزجاجى ، وأطلّت من عينيـه الغائرتين المخيفتين نظرة رهيبة ، وهو يقول فى شماتة وحشية :

ـ وقعت فى الفخ أيها المقدّم .

صوّب (نور) مسدسه إليه بسرعة ، وهو يهتف :

ـ ليس بعد أيها الوغد .

أطلق (ليدر) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ غرور .. غرور .. غرور .. هذا كل ما تمتلكه أيها المقدّم .. إنك حتى لن تحسن التصويب .

وبإشارة من يده ، انفتحت فجوة كبيرة فى الجدار ، تشرق منها الشمس مباشرة فأعشى ضوؤها عينـى (نور) ، و(ليدر) يقهقه ضاحكًا ، هاتفًا :

ـ هيا .. حاول أن تصوّب جيدًا أيها المقدّم .

أشاح (نور) بوجهه فى ألم ، وضوء الشمس يلهبه ويحجب عنه (ليدر) ، فى نفس الوقت انبعث رنين قوى داخل المكان ، فهتف (نور) :

ـ الشمس وحدها تجعلنى أعجز عن إصابتك يا (ليدر) .. الشمس وحدها .. الشمس وحدها يا (ليدر) ..

ارتفع الرنين أكثر وأكثر ، و(نور) يواصل :

ـ الشمس يا (ليدر) .. الشمس .

وفجأة ، انتبه عقله إلى الموقف كله ..

وإلى طبيعة الرنين ..

و ...

واستيقظ ..

انتفض من كابوسه دفعة واحدة ، وحدّق فى المنبه الكبير ، فوق المقعد المجاور ، فاعتدل جالسًا على الأريكة ، التى استغرق فوقها فى نوم عميق ، وأغلق المنبه ، ثم أدار عينيه فى مكتبه ، الذى لم يفارقه منذ عاد أمس ، وتثاءب فى قوة ، قبل أن يتمتم :

ـ يوم جديد يا (نور) .

كان من العجيب أن يختار هذا المصطلح بالذات ، والشمس تميل إلى المغيب ، معلنة انتهاء نهار جديد ، ولكن صراعه مع (ليدر) جعل نهاره ليل وليله نهار ..

فقائد (لانتس) المجنون لا يخرج للقتال والصراع ، إلا بعد مغيب الشمس ..

دائمًا بعد مغيب الشمس ..

وتنهّد (نور) فى عمق ، وهو يتطلّع إلى الشمس الغاربة ، وعقله يسترجع كل ما حدث ، فى الأيام القليلة الماضية ، قبل أن يقول لنفسه :

ـ ترى أين ستضرب ضربتك الجديدة هذه المرة يا (ليدر) ؟.. أين ؟

نطقها وعيناه تتطلّعان إلى العاصمة الجديدة ، وقلبه يشعر بخوف مبهم ، استغرقه بضع دقائق ، قبل أن يلتفت إلى مكتبه ، ويستعيد نشاطه دفعة واحدة ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، ويراجع بعض البيانات ، ثم يسترخى فى مقعده ، ويستغرق فى تفكير عميق :

« أما زلت نائمًا ؟!.. » .

تسلّل السؤال إلى أذنى (نور) فى رفق ، ففتح عينيه ، وابتسم قائلًا :

ـ أهلًا يا (أكرم) .. كيف حالك ؟

ابتسم (أكرم) ، وهو يدلف إلى الحجرة ، ويغلق بابها خلفه ، ويقول :

ـ حمدًا لله .. هل تعلم أن القائد الأعلى أصدر قرارًا بعودتى إلى العمل فورًا ؟

أجابه (نور) :

ـ إنها مفاجأة سارة .. أهنئك .

جذب (أكرم) مقعدًا ، وجلس إلى جواره ، قائلًا فى مرح :

ـ أشكرك ، ولكننى أعتقد أن هذا لحسن حظهم .

ضحك (نور) ، قائلًا :

ـ بالتأكيد .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ كيف حال زوجتك ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يسترخى فى مقعده :

ـ فى خير حال .. أنا قادم إليك مباشرة من المستشفى المركزى ، وهى وزوجتك بخير ، ولكن وجودهما معًا فى حجرة واحدة ، يسبّب لى مشكلات عديدة .

اعتدل (نور) ، متسائلاً :

ـ أية مشكلات ؟

ابتسم (أكرم) مجيبًا :

ـ إنهما تتحدثان معًا طوال الوقت ، وزوجتك أخبرت زوجتى بأمور لم تكن تعلمها ، حول طبيعة مشكلة التفجيرات ، فثارت (مشيرة) بالطبع ، واتهمتنى بأننى أخفى عنها أسرار العمل ، فى حين تخبر أنت زوجتك بها .

مطّ (نور) شفتيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ ما حدث يثبت أننى أخطأت بهذا .

لوّح (أكرم) بيده ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ ومن سيصلح هذا الخطأ ؟!..

التفت (نور) إلى النافذة ، مجيبًا :

ـ الزمن .

ثم شرد ببصره لحظات ، مع الشمس الغاربة ، قبل أن يقول :

ـ لا ريب أن (ليدر) يستعد الآن لضربة جديدة .

قال (أكرم) فى مقت :

ـ ذلك الحقير .. الشىء الوحيد ، الذى أحسده عليه ، هو قدرته المدهشة على الاختفاء ، فعندما أختلف مع (مشيرة) ، أتمنى لو أننى ...

قاطعه (نور) باعتدالة مفاجئة ، وهو يهتف :

ـ الاختفاء .

تراجع (أكرم) فى دهشة ، ثم سأله فى حدة :

ـ ماذا أصابك ؟

امتلأ (نور) بحماس مباغت ، وهو يقول له :

ـ هذه هى وسيلة الإيقاع به يا (أكرم) .. وسيلته فى الاختفاء .

حدّق فيه (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول بالضبط يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى اهتمام بالغ :

ـ هل تذكر حديثنا السابق يا (أكرم) .. عندما تحدّثنا عن الهالة الكهرومغنطيسية ، التى يحيط بها سيّارته ؟!.. سنرصد هذه الهالة بالذات ، باستخدام أقمار الفحص الجيولوجية(*) ، بعد أن يضرب ضربته القادمة ، ونوقع به ، بالسلاح نفسه الذى يستخدمه للفرار منا .

(*) جيولوجيا : علم الأرض ، ويشمل دراسة أصل الأرض ، وتاريخ تطوّرها ، وبنيانها ، والأحداث التى مرّت بها ، وطبيعتها الكيميائية والفيزيقية ، وكذلك دراسة سكانها وتطوّر الحياة فيها ، منذ أوّل تسجيل لنشوئها ، وحتى العصر الحديث ، ويشمل علم الأرض عدة فروع ، منها علم الصخور ، وعلم المعادن ، وعلم الحفريات ، والجيولوجيا الاقتصادية ، وعلم الطبقات ، وغيرها .

ثم عاد يتطلّع إلى قرص الشمس ، الذى اختفى تقريبًا فى الأفق ، وهو يضيف فى حزم :

ـ وكل ما نأمله أن تصبح هذه هى آخر جولاتنا معه .. من يدرى يا (نور) ؟.. ربما كانت بالفعل الجولة الأخيرة ..

من يدرى ؟..

★ ★ ★

زمجر (الميناروس) فى خفوت ، وهو يجلس فى المقعد الخلفى للسيارة ، التى استولى عليها (ليدر) ، ونقل إليها كل ما أحضره من عالمه ، من أجهزة الطاقة ، ذات النشاط المتعدّد ، واعتدل هذا الأخير ، وهو يزجره فى صرامة :

ـ كفى يا (ألفا) .. أحتاج إلى بعض الوقت ، لننقل أسلحتنا إلى السيارة الجديدة ، وبعدها ننطلق .

زمجر (الميناروس) ثانية ، فى عصبية واضحة ، ثم راح يلعق مواضع أنسجته الملتئمة فى توتر ، فتنهّد (ليدر) ، وقال :

ـ كلانا نفتقد (بيتا) .. لقد قتلها ذلك الحقير ، ولكننا سنثأر لها .

وأوصل الأسلاك المتبقية ، من جهاز الإخفاء ، قبل أن يضيف فى مقت :

ـ سيدفعون ثمنها غاليًا .. سيندمون جميعًا على تحديهم لـ (ليدر) .

راجع توصيلاته وتركيباته فى اهتمام ، ثم نهض فى حزم ، وقال للحيوان المتوتر :

ـ انتهينا يا (ألفا) .. سنبدأ جولتنا الليلة .

كانت عقارب الساعة تشير إلى نصف الساعة ، بعد منتصف الليل ، عندما انطلقت السيارة خارج المخبأ النووى ، واتخذت طريقها عبر شوارع العاصمة الجديدة ، فى طريقها إلى الطرف الآخر منها ..

وفى الواحدة والنصف تقريبًا ، وبعد مناورات معقّدة ، لتفادى نقاط التفتيش والحراسة ، التى انتشرت فى شوارع (القاهرة) الجديدة ، وصل (ليدر) إلى هدفه ..

وفى هدوء ، أخرج منظارًا مقرّبًا من نوع خاص ، وراح يراقب المفاعل النووى الرئيسى(★) فى الصحراء المتاخمة للعاصمة الجديدة ..

(★) المفاعل النووى : آلة لإحداث تفاعل الانشطار النووى المتسلسل المستمر ، مع التحكّم فيه ، ويتم تصنيف المفاعلات النووية طبقًا للغرض منها ، وطبقًا للأساس الثالث لتصنيفها ، يوجد منها نوعان : (١) مفاعلات متجانسة ، يكون الوقود فيها مذابًا ، وموزّعًا توزيعًا منتظمًا فى المهدئ ، و(٢) مفاعلات غير متجانسة ، وفيها يتم تركيز الوقود فى أعمدة (عناصر) ، توزّع فى المهدئ ، تبعًا لنظام هندسى معين .

كان يفصله عن المفاعل أربعة كيلو مترات كاملة ، إلا أن ذلك المنظار الخاص جعله يراه ويرى تفاصيله فى وضوح ، كما لو كان يقف أمامه مباشرة ..

وكانت إجراءات الأمن المشدَّدة واضحة للغاية ..

أضواء كاشفة شديدة القوة ..

عربات مدَّرعة ..

حوَّامات مراقبة ..

جيش من الأمن ..

وحتى مصدر الطاقة الخاص ، كان محاطًا بحراسة أكثر قوة ..

ولكن (ليدر) لم يبالِ بكل هذا ..

لقد ابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـ أغبياء كالمعتاد .

وعاد إلى سيارته ، وضغط زرّ تشغيل جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراح يتابع فوقه مسار الكابلات الرئيسية ، التى تخرج من المفاعل ، وتمدّ (القاهرة) كلها بالطاقة الكهربية ، ثم ابتسم مرة أخرى فى سخرية ، متمتمًا :

ـ دعهم يتخذون ما شاءوا من الحذر ، ولكن (ليدر) سيضرب ضربته .

وغادر السيارة ، واتجه إلى نقطة محدودة ، فغرس فيها كرة دوَّارة صغيرة ، ضغط زرًا فى أعلاها ، وتراجع ليفسح لها الطريق ..

ولثوان ، ظلّت تلك الكرة الدوَّارة صامتة هادئة ساكنة ، ثم لم تلبث أن بدأت فى الدوران فى بطء ، وراحت سرعة دورانها تتزايد فى سرعة ، حتى بلغت حدًا مدهشًا ، وراحت تحفر الأرض ، وتغوص فيها بسرعة ، صانعة فجوة صغيرة ممتدَة ، إلى عمق تم تحديده مسبقًا ..

ثم توقَّفت الكرة الدوَّارة ..

توقَّفت وأطلقت أزيزًا عاليًا ، يعلن انتهاء مهمتها ..

وهنا أخرج (ليدر) من حزامه اثنين من أقراصه الأرجوانية المتفجِّرة ، ألقاهما فى الفجوة ، ثم عاد مسرعًا إلى سيَّارته ، وهو يقول :

ـ لا عبث لك الليلة يا (ألفا) .. لقد انتهت العملية تقريبًا .

وانطلق بالسيارة مبتعدًا ..

ولم يكد يتجاوز الأمتار العشرين ، حتى دوى الانفجار من خلفه ..

انفجار فى قلب الأرض ، ارتج له المكان كله ، ونسفت معه الكابلات الرئيسية للمفاعل النووى الرئيسى ..

وفقدت (القاهرة) الجديدة عاملاً حيويًا جديدًا شديد الخطورة ...

الطاقة الكهربية ..

★ ★ ★

انتفض جسدا (نور) و (أكرم) مع الانفجار ، وانقطاع التيار الكهربى المباغت ، وهتف الأخير فى غضب :

ـ فعلها الوغد ثانيةً .

أما (نور) ، فقفز إلى هاتفه ، وهو يقول :

ـ يجب أن نتحرّك بأقصى سرعة الآن .

من حسن حظه أن هاتف الفيديو لم يكن يعتمد على الطاقة المباشرة ، من المفاعل النووى الرئيسى ، لذا فقد أوصله مباشرة بمن طلبهم ، وهو يقول :

ـ هل تم تحديد موقع الانفجار ؟

أجابه الضابط المسئول :

ـ نعم يا سيادة المقدّم ، تم تحديده فور حدوثه ، وتم إبلاغ جميع نقاط المتابعة به .

قال (نور) فى حماس :

ـ عظيم .. فليبدأ عمل أجهزة المراقبة ، المتصلة بالأقمار الصناعية الجيولوجية على الفور ، وفى دائرة نصف قطرها خمسة كيلو مترات ، من موقع الإصابة .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المولد الكهربى الاحتياطى عمله ، واشتعلت الأضواء من جديد ، فسأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ هل ننطلق الآن ؟

أجابه (نور) ، وهو يختطف مسدسه الليزرى ، ويدسه فى حزامه :

ـ نعم .

لم تمض دقيقة واحدة على هذا القول ، حتى كانا يقفزان داخل سيارة (نور) الجديدة ، التى انطلق بها هذا الأخير على الفور ، و (أكرم) يسأله :

ـ ما الذى فعله الليلة فى رأيك .. هل نسف المفاعل النووى الرئيسى ؟

أجابه (نور) فى توتّر :

ـ لست أعتقد هذا وإلا لكشف ضباط المراقبة الأمر على الفور .. أعتقد أنه نسف مسار الكابلات الرئيسية .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ ولماذا لم تتم مراقبة مسارات تلك الكابلات ؟

أجابه (نور) فى ضيق :

ـ إنها تمتد لعدة كيلو مترات ، ومع إجراءات الأمن المشدّدة ، حول المنشآت الحيوية ، ووحدات البنية الأساسية ، لم يعد هناك ما يكفى من رجال الأمن ، لمراقبة كل شبر من أرض (مصر) .

تمتم (أكرم) فى غضب :

ـ ياللوغد !.. إنه يسبب لنا مشكلات عديدة .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، والسبيل الوحيد لمنع هذه المشكلات ، هى إلقاء القبض عليه .

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً فى استنكار :

ـ إلقاء القبض عليه ؟!

ثم ابتسم فى سخرية عصبية ، مستطردًا :

ـ من الواضح أننا سنختلف مرة أخرى يا (نور) ؛ فأنا أومن بأن الوسيلة الوحيدة لمنع هذه المشكلات هى سحقه تمامًا ، هو وذلك الوحش ، الذى لم ننجح فى قتله فى المواجهة السابقة .

انعقد حاجبا (نور) فى ضيق واضح ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ظهرت نقطة حمراء كبيرة ، فوق شاشة الرادار الخاص فى سيارته ، فأشار إليها فى انفعال ، قائلاً :

ـ ها هوذا .

التفت (أكرم) إلى النقطة ، وهتف منفعلاً :

ـ هل عثرنا عليه ؟

أجابه (نور) ، وهو يضاعف سرعة سيارته :

ـ نعم يا صديقى .. عثرنا عليه .

قالها ، ولاذ الاثنان بالصمت التام ، وقد امتلأت نفساهما بانفعال جارف ، حبس الكلمات فى صدريهما ..

انفعال المواجهة ..

المواجهة الأخيرة ..

★ ★ ★

امتلأت نفس (ليدر) بالزهو والظفر ، وهو ينطلق بسيارته الخفية ، عائدًا إلى ذلك المخبأ النووى القديم ، وتملّكه انفعال جارف ، وهو يقول للحيوان القابع فى مقعد السيارة الخلفى :

ـ هل رأيت ما فعلناه يا (ألفا) ؟.. هل أدركت مضمون الرسالة ؟!.. إننى أبلغهم أن (ليدر) لا ينهزم أبدًا .. أبلغهم وأبلغ العالم أجمع ، الذى يتابع ما يحدث هنا فى قلق ، عبر ما تتناقله وكالات الأنباء(*) ، والأقمار الصناعية ، وشاشات الهولوفيزيون العالمية .. وهذه مجرّد بداية يا (ألفا) .. بداية لما سأفعله بتلك العاصمة

(*) وكالات الأنباء : مؤسسات تقوم باستقاء الأخبار ، وتوزيعها على دور الصحف ، ومحطات الإذاعة والتليفزيون ، وغيرها ، وأهم الوكالات فى العالم ، وكالة الأنباء الفرنسية ، و(رويتر) البريطانية ، و (يونايتد برس انترناشونال) ، و (أسوشيتد برس) ، ووكالة أنباء الشرق الأوسط .

العربية ، التى سأصنع منها نُصُبًا تذكاريًا لانتصارى ، عندما أضع قدمى على رقبة العالم كله .

قالها وبرقت عيناه فى شدة ، مستطردًا :

ـ نُصُبًا ذهبيًا .

وتفجَّرت من حلقه ضحكة مجلجلة ..

ضحكة ظافرة متشفية ..

مجنونة ..

ثم فجأة ، أضىء مصباح أزرق كبير ، فى واحد من الأجهزة التى أضافها للسيارة ..

وانعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ..

كان قد بلغ مخبأه بالفعل ، عندما أضىء ذلك المصباح ، الذى يشير إلى أنه مراقب ..

وفى غضب ، هتف (ليدر) :

ـ اللعنة !.. كيف فعلوا هذا ؟

ضغط عدة أزرار فى الجهاز فى سرعة ، وهو يتطلَّع إلى شاشته الصغيرة ، ثم زمجر على نحو جعله يبدو أكثر وحشية من (الميناروس) ، وهو يقول فى مقت :

ـ هؤلاء الأوغاد .. لقد تتبَّعوا الهالة الكهرومغنطيسية .

اشتعل الغضب فى أعماقه بشدة ، وكاد يتفجّر حممًا من عينيه الملتهبتين ، إلا أنه لم يفقده قدرته على التفكير ، التى اكتسبها من طول عمله كقائد لأمن (لانتس) ..

لقد كشفوا أسلوب اختفائه ..

ونجحوا فى تعقّبه ..

ومن المؤسف أنه لم يكتشف هذا ، إلا بعد أن توقّف عند مخبئه بالفعل ، وحتى لو عاود السير ، فلن يخدعهم هذا ، إذ إنهم سيسعون لتفتيش المخبأ حتمًا ..

لابد من المواجهة إذن ..

لم يعد هناك مفرّ منها ..

وفى حزم ، ضغط (ليدر) عدة أزرار فى أجهزته داخل السيارة ، ثم غادرها فى خطوات سريعة ، وأسرع إلى المخبأ ..

ومن بعيد ، هتف (أكرم) فى انفعال :

ـ ها هو ذا .. هل نهاجمه الآن ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كلاّ .. لا نريد أن نفقده بعمل أهوج .. لقد حققنا نجاحًا مدهشًا الليلة ، وتبعناه إلى هنا ، ونحن نعلم الآن أن هذا مخبأه ، فدعنا نتعامل مع الموقف فى دقة وهدوء .

ثم ضغط زر الاتصال فى سيّارته ، وقال :

ـ من القيادة إلى فريق المطاردة .. حاصروا كل مداخل ومخارج المخبأ النووى القديم ، ولا تسمحوا بدخول أو خروج أى شخص منه ، إلا بأوامر مباشرة منى .

واستلّ مسدسه ، قائلاً لـ (أكرم) :

ـ هيا يا صديقى .. استعد .

لوَّح (أكرم) بمسدسه التقليدى ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا صديقى .. أنا كشاف قديم(*) ، أومن بمبدأ (كن مستعدًا) .

انتظرا داخل السيارة ، حتى اختفى (ليـدر) و(ألفا) داخل المخبأ ، ثم قال (نور) فى حزم :

ـ هيا .

غادرا السيارة ، وقال (نـور) عبر جهاز اتصـال صغير :

ـ فليتخذ كل منكم موقعه .

بدأت عمليةَ حصار المخبأ فى صمت وهدوء ، فـى حين اتجه إليه (نور) و(أكرم) فى حذر ، ودفع الأوَّل بابه ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا !.. إنه لم يغلق الباب خلفه فى إحكام .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ هل تعتقد أنه فخ ؟

(*) الكشافة : حركـة منظَّمـة ، أسَّسها الجندى البريطـانى (روبرت ستيفنسن) سميث بادن ـ باول ١٨٥٧ ـ ١٩٤١) ، عام ١٩٠٩ م ، وله مؤلفات شهيرة فيها .



ثم قال (نور) فى حزم : ـــ هيا :

فحص (نور) رتاج الباب فى اهتمام ، ثم أجاب :
ـ لا يمكن الجزم بهذا ، ولكن الرتاج تالف ، وربما كان هذا هو السبب .
تنهّد (أكرم) فى ارتياح ، وهو يقول :
ـ عظيم ، فأنا فى غاية الشوق للقاء صديقنا (ليدر) ، وإخماد أنفاسه إلى الأبد .
لم يعلّق (نور) على عبارته ، وهو يتحرّك داخل المخبأ فى حذر ، متوقّعًا أن يهاجمهما (ليدر) فى أية لحظة ، وفجأة شعر بيد (أكرم) تعتصر ذراعه فى انفعال ، وهذا الأخير يهتف :
ـ (نور) .. انظر .. هناك ..
استدار (نور) إلى حيث يشير ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى منطقة معدّة كموقع للدراسة ، ومزوّدة بكمبيوتر كبير ، وشاشات رصد ، ومقعد ، ومنضدة صغيرة ..
وفى حماس ، استطرد (أكرم) :
ـ لقد أوقعنا بذلك الوغد .
لم يستطع (نور) مشاركته بهجته ، مع ذلك المزيج من الحذر والقلق فى أعماقه ، فتلفّت حوله فى توتر شديد ، قبل أن يقترب من ذلك الموقع فى بطء ، وسبّابته متحفزة فوق زناد مسدسه الليزرى ..

أما (أكرم) ، فقد بدا شديد الحماس ، وهو يقول :
ـ ذلك الوغد يتصرّف وكأنه صاحب المكان .. لقد أعدّ كل شىء لراحته التامة .. أنظر إلى المقعد الفاخر ، والمائدة ، و ...
قاطعه (نور) فى توتر :
ـ اخفض صوتك .. المفترض أنه هنا ، فى مكان ما .
مطّ (أكرم) شفتيه فى ضيق ، وغمغم :
ـ وأين هو ؟
اقترب (نور) من جهاز الكمبيوتر ، قائلًا :
ـ لا تتعجّل .. سنواجهه حتمًا .
وأشعل الكمبيوتر بضغطة زر واحدة ، قبل أن يضيف :
ـ عجبًا !.. هذا الكمبيوتر يبدو ظاهريًا من طراز مختلف، عن ذلك الذى نستخدمه فى عالمنا ، ولكنه يستجيب بالوسيلة نفسها .
راح يضغط الأزرار المستديرة فى اهتمام ، ويتابع كل ما تنقله الشاشة ، و(أكرم) يقول فى دهشة :
ـ يا إلهى !.. لقد حصل على نسخة من كل أسرارنا تقريبًا !
غمغم (نور) فى حنق :

ـ هذا صحيح .. انظر .. هذه هى كل الرسوم التخطيطية للمنشآت الدفاعية ، وخطوط المواصلات ، والطاقـة ، وهذه صور الأسلحة الحديثة ، وخطط الدفاع ، و ...

بتر عبارتـه بغتـة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى رسم لسلاح جديد ، لا يشبه أى سـلاح أرضى معروف ، وظهر على الشاشة ، واقترن ظهوره بحروف وكلمات عجيبة ، أشبه بمزيج من العبرية(*) والصينيـة ، فقال (أكرم) فى دهشة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

راجع (نور) رسوم وتصميمات ذلـك السلاح العجيب ، وتوقّف عند نقطة بعينها ، وهتف فى توتر شديد :

ـ ربّاه !.. الذهب .

لم يكد ينطقها ، حتى دوت فرقعـة مكتومـة فى المكـان ، وانطلق حاجزان من حواجـز الطاقـة ، يسجنان (نـور) و(أكرم) داخل تلك القاعة ، وفى نفس اللحظـة ، جلجلت فى المكان ضحكة ساخرة قوية ..

ضحكة تحمل صوت قائد (لانتس) ..

صوت (ليدر) .

★ ★ ★

(*) العبرية : لغة سامية ، من المجموعة الكنعانيـة ، وهى اللغة الرسمية ، المستخدمة فى (إسرائيل) .

١١ ـ بين نارين ..

انبعث ضوء وردى باهت ، يمسح وجه الدكتـور (نـاظم) ، وهو يقف فى تململ ، أمام حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلميـة ، فـى الثانيـة صباحًا ، قبل أن يقـول كمبيوتـر الأمن ، بصوته المعدنى الباهت :

ـ الدكتور (ناظم) .. مسجّل بالفئة الأولى .. مسموح له بالدخول .

وانفتح باب الحجرة فى بطء ، فعبره الدكتور (ناظم) فى لهفة ، وهو يقول :

ـ أصحيح ما أبلغونى إيّاه فى الإدارة ؟!.. هل تمكنّا من معرفة مخبأ ذلك الوغد ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. صحيح .. إنه يتخذ من المخبأ النووى القديم وكرًا له ، ولكن قواتنا تحاصر ذلك الوكر الآن ، و (نور) و (أكرم) داخله .

بُهتَ الدكتور (ناظم) للعبارة الأخيرة ؟!.. وهتف فى دهشة مستنكرة :

- ولماذا اقتحما الوكر ؟!.. ألا يمثل هذا خطورة شديدة ؟

تنهَّد القائد الأعلى ، قائلاً :

- نعم ، ولكنهما فعلا هذا دون الرجوع إلينا ، تبعًا للصلاحيات الممنوحة لـ (نور) .. وأنت تعرف كيف يفكِّر هذان الشابان !

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- نعم .. إنهما عنيدان للغاية .

ثم كرَّر فى قلق :

- ولكن هذه المبادرة بالغة الخطورة بالفعل .. كلنا نعلم أننا نتعامل مع داهيةٍ من عالم آخر ، يعلم اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده مقدار ما يملكه من أسلحة مجهولة ، وألاعيب لا قبل لنا بها ، فلماذا يجازف (نور) و(أكرم) بمواجهته وحدهما .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- لا تسألنى .

مطَّ الدكتور (ناظم) شفتيه فى حنق ، دون أن يجيب ، وإن شعر فى أعماقه أن تلك الخطوة ، التى أقدم عليها (نور) و(أكرم) ، تنطوى على الكثير من الحماقة .. ومن الخطر ..

* * *

صاح (أكرم) فى غضب ، مع ضحكة (ليدر) الساخرة الشامتة :

- اللعنة !.. لقد خدعنا مرة أخرى .

لم يكد يتمّ صيحته ، حتى برز (ليدر) من ركن خفى ، وهو يحدجهما بنظرة ظافرة شامتة ، جعلت (نور) يقول فى صرامة :

- كنت أعلم أنك ستفعل هذا .

ظهر (الميناروس) من خلف (ليدر) ، وحدجهما بنظرة وحشية بدوره ، وهو يزمجر فى عصبية ، فى حين أجاب النحيل :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد وقعت فى الفخ .

صوَّب إليه (أكرم) مسدسه فى غضب ، وهو يقول :

- هذا الفخ لن يمنعنى من قتلك أيها الوغد .

عقد (ليدر) ساعديه أمام صدره ، وقال ساخرًا :

- حاول أيها المتحذلق .. لست أدرى كيف غابت عنك طبيعة حواجز الطاقة القوية !.. إنها تمنع أى شىء من عبورها ، حتى رصاصات مسدسك ، وأشعة مسدس صديقك .. إنها مضادة لكل الأسلحة .

زمجر (أكرم) هذه المرة فى غضب ، فى حين قال (نور) :

- بمناسبة الأسلحة .. لقد كشفنا أمر سلاحك السرى ، الذى استخدمت فيه الذهب المسروق .

أجابه (ليدر) ساخرًا :

- آه .. سلاحى السرى .. كان من الطبيعى أن تكشف أمره أيها المقدّم ، فلقد اعترفت لك بالعبقرية منذ زمن ، ولكن أخبرنى .. هل راق لك ؟

قال (نور) فى غضب :

- أنت وغد يا (ليدر) .. وغد حقير .

صمت (ليدر) لحظة ، وهو يتطلّع إليه فى صمت ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

- صدقت أيها المقدّم .. أنا وغد حقير كما تقول ، ولكن هذ [illegible] الحقير سيصبح عما قريب سيّد عالمك كله ، أما عاصمتك السخيفة ، فستصبح نُصبًا تذكاريًا لانتصاره .

قال (نور) فى مقت :

- هل فعلت ما فعلت ، واستوليت على الذهب ، من أجل غرض سخيف كهذا ؟

هزّ (ليدر) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- إنه ليس سخيفًا على الإطلاق ، فكل الفاتحين والظافرين لهم نُصُب تذكارية كبيرة .

وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- ولكن نُصُبى الخاص سيفوقها جميعًا .

بدا القلق على وجه (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

- عم تتحدثان يا (نور) .

أشار (نور) إلى (ليدر) ، قائلاً :

- هذا المجنون يسعى لتحويل (القاهرة) كلها إلى نصب تذكارى ذهبى .

سأله (أكرم) فى توتر :

- ماذا تعنى ؟

تألّقت عينا (ليدر) أكثر ، وهو يقول :

- سأخبرك أنا ما الذى يعنيه هذا .. لقد أدهشكما كثيرًا أننى استطعت سرقة سبائك الذهب ، ونقلها من خزينة البنك فى زمن قياسى ، ولم يمكنكم أبدًا معرفة الوسيلة ، التى اتبعتها فى هذا .. الواقع أننى استخدمت سلاحًا فريدًا ، هو درة الأسلحة ، التى تركها الغرباء خلفهم ، بعد أن نقلوا (لانتس) إلى عالمها الجديد ، فى تلك الفجوة بين الأبعاد .. إنه سلاح خاص ، يمكنه ضغط أو تركيز ذرات المادة ، بوساطة هذا السلاح ، قمت بتقليص سبائك الذهب ، بحيث أصبحت كلها فى حجم صندوق صغير ، حملته معى وانصرفت ، داخل سيّارتى الخفية ..

وبوساطة السلاح نفسه ، وسبائك الذهب نفسها ، سأصنع نُصُبى التذكارى الخاص .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- هل من المفترض أن نكون قد فهمنا كل شىء الآن ؟

تجاهل (ليدر) عبارة (أكرم) الاعتراضية ، وهو يواصل :

- ففى مخبئى الاحتياطى ، يستقر الآن سلاحى الخاص ، بعد أن أوصلته بسبائك الذهب ، بعد إعادة تكبيرها ، وعندما أبدأ فى تشغيله ، سيغمر القاهرة كلها بشعاع رهيب ، يحمل ذرات الذهب ، التى ستتحوّل معه إلى مادة مذهلة ، تخترق كل المسام والخلايا ، وكل الحوائط والحواجز ، ثم تستقر داخلها إلى الأبد .

تمتم (أكرم) فى توتر :

- وما الذى سيفعله هذا ؟

ابتسم (ليدر) ساخرًا ، فى حين أجاب (نور) :

- ستتحوّل (القاهرة) كلها إلى ذهب يا صديقى .. (القاهرة) بكل مبانيها ومنشآتها ، والملايين من ساكنيها ، ستتحوّل فى لحظات إلى تماثيل جامدة من الذهب ، أو مكسوة بطبقة من الذهب ، لا حياة فيها .

ارتدّ (أكرم) فى حدة ، وهو يهتف :

- ربّاه !.. هل تعنى أنك ستقتل الجميع ؟

لوّح (ليدر) بذراعه ، هاتفًا :

- بل سأمنحهم الخلود .. سيبقون إلى أبد الآبدين رمزًا لانتصارى على عالمكم كله .

صاح (أكرم) فى غضب :

- أى رمز حقير هذا ، أيها القاتل الوحشى المجنون ؟!.. هل ستقتلهم ثم تقول : إنك تمنحهم الخلود ؟!.. أى خلود هذا ، لتمثال جامد ، حتى ولو كان من الذهب الخالص .. تمثال لا ينفع ولا يضر ؟!

ابتسم (ليدر) شامتًا ساخرًا ، وهو يقول :

- اغضب كما شئت يا رجل ، ولكن (ليدر) سينفذ خطته فى النهاية .

صرخ (أكرم) :

- على جثتى .

ثم أطلق رصاصات مسدسه ، التى ارتطمت بجدار الطاقة ، وارتدّت على نحو عشوائى ، جعل (نور) يصرخ :

- كفى أيها المجنون .

أصابت الرصاصات مع ارتدادها جهاز الكمبيوتر ، والمائدة ، وكادت تخترق ذراع (نور) ، وهو يخفض يد

(أكرم) فى سرعة ، فـى حين قهقـه (ليدر) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .. أنتم لا تتعلمون أبدًا .

ثم انعقد حاجباه فى وحشية ، مستطردًا :

ـ ولكن أساليبكم السخيفة هذه جعلتنى أُجرى تعديلاً خاصًا فى خطتى .. لقد قرَّرت أن أصنع نصُبى التذكـارى الليلة .

سرت فى جسد (نور) قشعريرة باردة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ هذا لو أمكنك الخروج من هنا يا (ليدر) .

ابتسم (ليدر) فى سخرية ، قائلاً :

ـ اطمئن أيها المقدّم .. سأخرج من هنا بكل هدوء .

أجابه (نور) فى حدة :

ـ هذا ما تتصوَّره أيهـا الوغد ، ولكننـا لسنا وحدنـا هنا ، فالمخبأ كله محاصر بالقوات الخاصة ، وسيطلقون النار على كل من يغادر المكان ، و ...

قاطعه (ليدر) فى سخرية :

ـ أعلم هذا .

ثم أخرج من جيبه شريحة صغيرة ، ضغـط طرفيها ، فانبعث منها صوت (نور) ، وهو يقول لرجالـه ، عبر جهاز الاتصال :

ـ لا تسمحوا بدخول أو خروج أى شخص منـه ، إلا بأوامر مباشرة منى .

وقال (ليدر) فى استهتار :

ـ لقد سجّلت كل كلمة تبادلتها مع رجالك أيها المقدّم ، عبر جهاز اتصالك الخاص .

أجابه (نور) فى حدة :

ـ ولكن هذا لن يساعدك علـى الفرار ، فهنـاك شفرة سرية خاصة ، لابد وأن تسبق أوامرى إليهم ، وإلا فلن يطيعها أحدهم قط .

قال (ليدر) فى سخرية :

ـ ومن يحتاج إلى إصدار الأوامر ؟

ثم أشار إلى صدره ، وهو يضغط زرًا فـى حزامـه ، فتبدّلت هيئته على نحو مدهش ، وتحوّل فى لحظـة إلـى صورة طبق الأصل من (نور) ، فشهق (أكرم) ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !.. كيف فعل هذا ؟

أمـا (نـور) فحدّق فـى هيئـة (ليدر) الجديـدة فـى دهشة بالغة ، وهذا الأخير يقول :

ـ لا تجعلا عيونكمـا تخدعكمـا .. هذا التغيير شكلى فحسب .. مجرَّد صورة هولوجرافيـة محدودة ، تحيـط بجسدى كله ، وتمنحه هذه الهيئة ، أما تكوينى الجسمانى ، فمازال على هيئته الأصلية .

ثم أشار بسبّابته ، مستطردًا :

ـ ولكن المفاجأة الحقيقية ستكونِ مع (ألفا) .

قالها ، وانحنى يضغط زرًا مماثلا ، فى طوق جديد ، أضافه إلى رقبة (الميناروس) ، الذى تبدّلت هيئته على الفور ، وتحوّل إلى صورة طبق الأصلّ من (أكرم) ، وكأنه ينحنى على يديه وركبتيه ، فهتف هذا الأخير فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .. ألمِ تجد سوى حيوانك السخيف هذا ، لتصنع منه صورة منى ؟!

أجابه (ليدر) فى صرامة :

ـ أنت تستحق هذا ، فقد قتلت (بيتا) .

ثم انحنى يحمل (الميناروس) ، فى صورة (أكرم) ، على كتفه ، مستطردًا :

ـ والآن وداعًا .. سيكون انتقامى ممتعًا .. ممتعًا بحق .

قالها ، وقهقه ضاحكًا فى ظفر شامت ، وهو يبتعد ويبتعد ، و(أكرم) يصرخ من خلفه :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .

تجاهله (ليدر) تمامًا ، وهو يتجه بحمله إلى مدخل النفق ، ولم يكد يبلغه ، حتى اندفع يعبره على نحو مثير ، وهو يهتف :

ـ إنه بالداخل .. لقد نجونا منه بأعجوبة .. اقتلوه .. اقتلوه قبل أن يفر .

كانت الصورة الواضحة لرجال القوات الخاصة ، الذين يحيطون بالمخبأ ، هى أن (نور) يندفع خارجًا منه ، وهو يحمل (أكرم) المصاب على كتفه ، فصاح قائدهم فى صرامة :

ـ هجوم .. سنقتحم المكان ، طبقًا للحظة (٧٠٠) .

وابتسم (ليدر) فى سخرية ، وهم يقتحمون المكان ، وضغط زرين فى حزامه ، قبل أن يغمغم :

ـ إنه انتقام عادل .

ثم استقلّ مع (ألفا) سيارة (نور) الجديدة ، وانطلق إلى المخبأ الاحتياطى ، استعدادًا لإطلاق السلاح الخاص ، ليصنع من (القاهرة) نُصُبه التذكارى الجديد ..

النُّصُب الذهبى ..

القاتل ..

★ ★ ★

هتف (أكرم) فى غضب ، عندما اختفى (ليدر) من المكان :

ـ ذلك الوغد .. لقد فرّ أمام أعيننا يا (نور) :

أجابه (نور) فى توتر بالغ :

ـ ليس هذا فحسب يا (أكرم) .. إنه ينتحل شخصيتينا مع وحشه المخيف ، والرجال فى الخارج سيتصوَّرون أنهما نحن ، وربما يأمرهم بإطلاق النار علينا ، باعتبارنا هو ووحشه .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ اللعنة !.. وكيف يمكننا إقناعهم بالعكس !

ثم أمسك يد (نور) فى قوة ، مستطردًا :

ـ (نور) .. ألا تحمل واحدًا من تلك الأشياء الصغيرة ، التى يمكنها اختراق حواجز الطاقة ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ للأسف .. لم أكن أتوقَّع موقفًا كهذا قط .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تألَّق مصباح صغير ، فى إحدى شاشات الرصد ، وراح يضىء وينطفئ على نحو منتظم ، فهتف (أكرم) :

ـ وما هذا أيضًا ؟

امتقع وجه (نور) ، وهو يجيب :

ـ قنبلة ..

تراجع (أكرم) مصعوقًا ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!.. قنبلة ستنفجر هنا ، بين حاجزى الطاقة ؟!.. ربَّاه !.. إنها ستسحقنا سحقًا يا (نور) .

أخرج (نور) جهاز الاتصال الصغير من جيبه ، وهو يهتف :

ـ المشكلة أننا لا نستطيع حتى الاتصال بالقوات الخاصة ، فحاجز الطاقة يعوق موجة الاتصالات العادية ، واختراقه يحتاج إلى موجة فائقة خاصة .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ لماذا أخرجت جهاز الاتصال إذن ؟

أجابه (نور) ، وهو يتجه نحو ركن حاجز الطاقة :

ـ إنها محاولة يا صديقى .. محاولة أخيرة .

قالها ، وانحنى يضع جهاز الاتصال الصغير ، عند ركن حاجز الطاقة ، ثم تراجع منتزعًا مسدسه الليزرى ، وهو يستطرد :

ـ سأحاول تنشيط طاقة الجهاز .. وربّما ..

لم يتم عبارته ، وهو يصوّب المسدس ، ويضغط زناده ، و ...

وانطلق شعاع الليزر الرفيع ، ليصيب ركن جهاز الاتصال ، الذى انطلقت منه إشارة عنيفة ، ضاعفت أشعة الليزر نشاطها ..

وتألّق حاجز الطاقة ..

تألّق وتناثرت الشرارات الكهربية فيه على نحو عجيب ، فأمسك (نور) يد (أكرم) ، وصاح :

ـ الآن يا (أكرم) .

اندفع الاثنان نحو الحاجز المضطرب ، ووثبا يخترقانه فى لحظة تشتته ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

لقد شعر وكأن مئات الصواعق الصغيرة قد ضربت خلاياه ، فى مواضع شتى ، وسرت فى جسده كما تسرى النار فى الهشيم ، ثم تفجَّرت فى رأسه ، قبل أن يتجاوز الحاجز ، ويسقط فى الجانب الآخر منه ..

وعلى الرغم من آلامه المتعدِّدة ، صرخ فى سعادة :

ـ نجحنا يا (نور) .. عبرنا الحاجز .

ومع صرخته ، بلغ رجال القوات الخاصة المكان ، ومع الإضاءة الخافتة ، لم يمكنهم تمييز هذين الشخصين اللذين سقطا أمام حاجز الطاقة ، فارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية فى وجهيهما ، فهتف (نور) :

ـ لا تطلقوا النار .

ولكن أحدًا لم يستمع إليه ..

لقد قفزت سبَّابات الجميع إلى أزندة مدافعهم ، و ...

وحانت لحظة الموت .

★ ★ ★

١٢ ـ بريق الذهب ..

أصدر قائد القوات الخاصة أوامره لرجاله باقتحام المخبأ ، والقضاء على (ليدر) داخله ، ثم انتزع جهاز الاتصال الصغير من جيبه ، وقال :

ـ من قيادة القوات الخاصة إلى القيادة العامة .. تم الاقتحام ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى دهشة ، وهو يحدِّق فى سيارة (نور) ، التى ركبها هذا الأخير ، ثم أشار إلى زميله ، الذى اندفع نحوها ، على يديه وركبتيه ، ثم وثب داخلها فى حركة عجيبة ، أشبه بذئب ضخم ..

ثم انطلقت السيارة ..

ولثوان ، راقبها القائد فى دهشة ، قبل أن يهتف :

ـ ربَّاه !.. إنها خدعة .

وضغط الموجة الثانية لجهاز الاتصال الصغير ، وهو يصرخ :

- توقفوا .. العملية ألغيت .. لا تطلقوا النار على أى هدف بالداخل ..

جاءت رسالته فى اللحظة المناسبة تمامًا ، قبل أن يضغط الرجال أزندة مدافعهم الليزرية بجزء من الثانية ، فانخفضت فوهات مدافعهم ، والحيرة تملأ أنفسهم ، فى حين هتف (أكرم) فى دهشة فرحة :

- ربّاه !.. وكأننا فى فيلم سينمائى خيالى .. كل شىء يتوقّف فى الثانية الأخيرة .

قال أحد الرجال فى ذهول :

- عجبًا !.. أهو أنتما ؟!.. لقد رأيناكما تغادران المخبأ منذ قليل .

أجابه (نور) فى ضيق :

- كانت خدعة منفذة بمهارة ، وأراهن على أن صاحبها على بعد عدة كيلو مترات من هنا الآن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهر قائد القوات الخاصة ، وهو يهتف :

- حمدًا لله .. أنتما بخير .. خشيت أن أصل بعد فوات الأوان .. لقد كانت خدعة رهيبة .

سأله (نور) فى توتر :

- هل هرب ؟

أشار الرجل بيده ، قائلاً :

- نعم .. انطلق بسيارتك ، و ...

قاطعه (أكرم) ، وهو يصرخ :

- (نور) .. القنبلة .

انتبه (نور) إلى الأمر فجأة ، وأدهشه أن نسيه مع الموقف ، فصاح :

- ربّاه !.. غادروا المكان بأقصى سرعة .

وانطلق الجميع يعدون بأقصى سرعتهم ، فى محاولة للفرار ، ومن خلفهم صدر أزيز قوى ، و ...

ودوى الانفجار ..

دوى قبل أن يغادروا المخبأ القديم تمامًا ..

وهنا يكمن الخطر ..

★ ★ ★

دلف (ليدر) إلى المخبأ الاحتياطى يتبعه (الميناروس) ، وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يسير فى ممره الطويل ، مغمغمًا :

- إنهم لا يتعلمون أبدًا .. لم يدركوا بعد أن الانتصار على (ليدر) مستحيل ؟

واصل طريقه ، حتى وصل إلى بقعة واسعة ، تراصت فيها نسخة طبق الأصل من تلك الأجهزة ، التى تركها

خلفه فى المخبأ القديم ، باستثناء جهاز كبير ، أشبه بالمدافع التقليدية القديمة ، يتصل بوعاء ضخم ، تراصت داخله سبائك الذهب ، بوساطة أنبوبتين قصيرتين ..

وتوقَّف (ليدر) أمام ذلك الجهاز الكبير ، وتأمَّله لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ استعدى أيتها (القاهرة) الجديدة .. بعد ساعة واحدة من شروق الشمس ، ستتحولين إلى عاصمة لا مثيل لها فى العالم أجمع .

وابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ عاصمة من ذهب .

ثم فتح بابًا صغيرًا فى قاعدة الجهاز ، وراح يعمل فى اهتمام بالغ ..

كان يضع اللمسات الأخيرة لسلاحه الجديد ، حتى يصبح صالحًا للعمل ..

وهذا يعنى أنه لم يعد باقيًا ، فى حياة (القاهرة) ، سوى ساعات ..

ساعات معدودة ، قبل أن تأتى النهاية ..

النهاية الذهبية ..

★ ★ ★

كان الانفجار قويًّا إلى حد مخيف ..



ثم فتح بابًا صغيرًا فى قاعدة الجهاز ، وراح يعمل فى

انفجار يكفى لسحق جيش كامل من المقاتلين ، بكل رجاله ومعداته ، فى لحظة واحدة ..

وفى الظروف العادية ، كان الانفجار كفيلاً بالقضاء على (نور) و (أكرم) ، وفريق القوات الخاصة كله ، والإطاحة به بلا رحمة ..

ولكن كان هناك عامل شديد الأهمية ..

عامل أدّى إلى امتصاص الجزء الأضخم من الانفجار ..

ومن سخرية القدر أن ذلك العامل كان من صنع (ليدر) نفسه ..

إنه حاجزا الطاقة ..

لقد دوى الانفجار بينهما ، وصنع موجة هائلة من التضاغط ، احتواها حاجزا الطاقة ، بعد أن استردا قوتهما ، حتى بلغا قدرتهما القصوى على الاحتمال ، فانهارا تحت الضغط ، وتركا الانفجار يتجاوزهما إلى النفق نفسه ..

ولكنه كان انفجارًا مكتومًا ، مبتسرًا ، فقد القدر الأعظم من طاقته ، ولم يعد بمقدوره تحقيق ما يقوم به انفجار حقيقى ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد دفعت الموجة المتبقية الجميع فى عنف ، وألقت بعضهم خارج النفق ، مع دوى قوى ، تلاشى فى سرعة ، و (نور) يهتف :

ـ حمدًا لله .. لقد أنقذنا (ليدر) دون أن يدرى .

صاح (أكرم) مستنكرًا :

ـ ذلك الوغد أنقذنا ؟!.. وكيف هذا ؟

قال (نور) ، وهو ينهض فى سرعة :

ـ سأخبرك فيما بعد .

ثم التفت إلى قائد القوات الخاصة ، مستطردًا :

ـ أريد سيارة بسرعة .. اتصل بالقيادة العامة ، وأخبرهم أننا ـ (أكرم) وأنا ـ خلف ذلك العدو .

ألقى إليه الرجل مفاتيح سيارته الخاصة ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. سأفعل كل هذا .

وثب (نور) و (أكرم) داخل سيارة الرجل ، وانطلقا بها بأقصى سرعتها ، و (أكرم) يسأل فى اهتمام :

ـ كيف يمكننا العثور عليه ؟

أجابه (نور) :

ـ من سوء حظه أنه استخدم سيَّارتى للفرار ، وهى ككل سيارات رجال المخابرات ، مزوَّدة بجهاز تتبع خاص ، سيرشدنا إليها مباشرة .

هتف (أكرم) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يضبط موجة التتبُّع فى سيارة قائد القوات الخاصة :

ـ حقًّا يا (أكرم) .. سنتعقَّبها باستخدام جهاز التتبُّع هذا ، عبر موجة شفرية خاصة ، وستقودنا إليها بكل دقة .

ظهرت على شاشة التتبُّع نقطة مضيئة ثابتة ، فوق خريطة كبيرة ، فسأل (أكرم) فى اهتمام :

ـ لماذا لا تتحرَّك يا (نور) ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يجيب :

ـ من الواضح أنها متوقِّفة يا (أكرم) .. لقد غادرها ذلك الوغد على الأرجح .

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ غادرها ؟!.. هل فقدنا أثره ثانية ؟!

بدا الحنق فى وجه (نور) وملامحه ، وهو ينطلق بسيارة قائد القوات الخاصة بأقصى سرعة ، عبر طرقات وشوارع العاصمة الجديدة ، فى الثالثة صباحًا متتبِّعًا الإشارة الصادرة من سيارته ، حتى وصل إلى منطقة الأطلال ..

إلى نفس البقعة ، التى استدرجه إليها (ليدر) من قبل ..

وتوقَّف (نور) فى توتر شديد ، وهو يتطلَّع إلى أطلال العاصمة القديمة ، التى تمتدّ لمسافة هائلة ..

لقد بلغ موضع سيارته ، ولكنه فقد أثر خصمه ..

فقد أثره تمامًا ..

★ ★ ★

ارتفع رنين هاتف الفيديو ، المجاور لفراش الخبيرة البيولوجية (هناء) ، فى الثالثة والربع صباحًا ، ففتحت عينيها فى إرهاق ، وغمغمت فى سخط :

ـ يا للسخافة !.. لماذا اخترت العمل فى ذلك المجال ، الذى ينتخب دائمًا أسوأ أوقات اليوم ، لانتزاعى من أعماقى ؟!.. كان يجب أن أستمع لنصيحة والدتى ، وألتحق بكلية التجارة أو الآداب .

وضغطت زر إلغاء الصورة ، قبل أن ترفع سمَّاعة الهاتف ، قائلة :

ـ هنا (هناء حمَّاد) .. من المتحدِّث ؟

أتاها صوت (نور) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ أنا المقدَّم (نور) .. كم تحتاجين من الوقت ، لارتداء ثيابك والحضور إلى معملك ؟

اعتدلت هاتفة فى دهشة :

ـ الآن ؟!.. هل تعرف كم الساعة ؟

أجابها فى توتر :

ـ نعم .. أعلم ، وأنتظرك فى معملك .

قالها ، وأنهى الاتصال على الفور ، فحدّقت فى سمّاعة الهاتف لحظة ، قبل أن تعيدها مغمغمة فى حنق :

ـ ماذا كان عيب كلية التجارة ؟!

لم تمض نصف الساعة على هذه المحادثة ، وبالتحديد فى الرابعة إلا أربع عشرة دقيقة ، كانت (هناء) تدلف إلى معملها ، وتقول لـ (نور) و (أكرم) فى سخط :

ـ هل أخبركما أحد أننى من ذلك الطراز ، الذى يعمل دون توقف ، ليلاً ونهارًا ؟

ابتسم (أكرم) لعبارتها ، فى حين لم يبد على (نور) أنه سمعها ، وهو يقول :

ـ ماذا فعلت بشأن جهاز التتبُّع الجينى ؟

حدّقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تهتف :

ـ هل انتزعتنى من فراشى ، وأحضرتنى إلى هنا ، لتلقى علىّ هذا السؤال ؟!

كرّر فى صرامة :

ـ ماذا فعلت بشأنه ؟

التقى حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

ـ لقد انتهيت منه تقريبًا .

سألها فى اهتمام :

ـ وما حدود كلمة (تقريبًا) هذه ؟

لم يرق لها أسلوبه ، فلوّحت بكفها ، قائلة :

ـ حدودها أننى انتهيت من صنع الجهاز نفسه ، ولكنه لم يتخذ الشكل المناسب بعد .

اعتدل قائلاً :

ـ دعينى أره .

قادته إلى دولاب خاص ، فى ركن الحجرة ، وأخرجت منه صندوقًا صغيرًا ، وهى تقول :

ـ ها هو ذا .. لقد أضفت إليه البصمة الجينية للحيوان ، مع مسبار البحث ، وأشعة التتبع ، ولكن يجب أن يصنع لى القسم المختص وعاءً له شكل مناسب ، حتى يمكننى ..

قاطعها (نور) ، وهو يلتقط الجهاز فى لهفة :

ـ سنكتفى بالموجود .

ثم أشار إلى (أكرم) ، مستطردًا :

ـ هيا بنا .

واندفع يغادر المكان فى سرعة ، فحدّقت فيه (هناء) فى دهشة ، وانعقد حاجباها فى غضب ، فابتسم (أكرم) ، وقال وهو يلحق بـ (نور) :

- لا تغضبى يا عزيزتى .. هذا هو (نور) .

ازداد انعقاد حاجبيها فى سخط ، ثم جلست أمام جهاز الكمبيوتر ، وضغطت زر تشغيله ، وهى تقول :

- ما الأوراق المطلوبة ؛ لإعادة الالتحاق بالجامعة ؟!

★ ★ ★

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة والربع صباحًا ، والحوَّامة التى تقلّ (نور) و (أكرم) تحلِّق فوق الأطلال القديمة ، وتطلّع الأخير إلى ساعته ، قائلا :

- نصف ساعة أخرى وتشرق الشمس .

لمْ يعلّق (نور) على العبارة ، وهو يراقب جهاز التتبُّع الجينى فى اهتمام ، فسأله (أكرم) :

- هل تعتقد أن هذا الجهاز يمكن أن يرشدنا إليه ؟

أجابه (نور) :

- لو أن نظرية (هناء) سليمة ، فسيتتبّع الجهاز البصمة الجينية للحيوان ، الذى يتبع (ليدر) كظله ، ويقودنا إليه مباشرة .

سأله (أكرم) :

- ولماذا اخترت منطقة الأطلال بالذات ؟

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- ليس من السهل أن يجول (ليدر) وحده ، فى شوارع العاصمة ، ووحشه يتبعه ، وهو يعلم أن كل رجل شرطة فى (مصر) يسعى خلفه ، ومادام قد ترك سيارتى بالقرب من الأطلال ، فهو يختبئ هناك حتمًا ، أضف إلى هذا أنه تحدَّث عن مخبأ احتياطى وعن سلاحه المخيف ، الذى ينوى إطلاقه الليلة ، ولهذا أحضرت جهازًا جيولوجيًا آخر ، يبحث عن الذهب ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته أطلق جهاز تتبُّع البصمة الجينية أزيزًا خافتًا ، فانعقد حاجبا (نور) ، وبتر عبارته ، فى حين هتف (أكرم) :

- ها هو ذا .

غمغم (نور) فى قلق :

- عجبًا !.. كان المفترض أن يبدأ جهاز البحث عن الذهب عمله أوَّلاً .

أجابه (أكرم) فى حماس :

- ربما كانت الإشارات الجينية أكثر قوة .

لم يجب (نور) ، وإنما تصاعدت نبرة القلق والشك فى أعماقه ، وهبط بالحوَّامة فى تلك المنطقة ، التى التقط منها البصمة ، وقال وهو يغادرها فى حذر :

- هذا الجهاز يعمل بأسلوب شديد التطوّر ، فهو يرسل شعاعًا فاحصًا ، يحمل شفرة جينية خاصة ، ومهمته هى التقاط كل أثر للحياة ، فى منطقة سقوطه ، وتحليل

الشفرة الجينية لنوع الحياة ، التى يعثر عليها ، ثم يقارنها بالشفرة الجينية ، التى تمت برمجته عليها ، وعندما تتفق الشفرتان ، يطلق ذلك الأزيز ، وهو لا يتلقّى أية إشارات ، فالجينات لا تطلق إشارات معروفة .

سأله (أكرم) فى دهشة :

- وكيف يمكن لشعاع ما أن يحلّل الشفرة الجينية لأى كائن حى ؟.. لقد أخبرونا قديمًا أنها عملية شديدة التعقيد !.

غمغم (نور) :

- كل شىء يتطوّر يا صديقى ، وما يبدو اليوم مستحيلاً ، قد يصبح فى الغد مجرّد لعبة أطفال .

ثم أشار إلى المنطقة التى يعلو فيها الاستقبال ، مستطردًا :

- انظر .. إنها نفس البقعة ، التى شهدت الفخ السابق .

تلفّت (أكرم) حوله فى حذر متوتر ، وهو يقول :

- لست أظنه من الغباء ، بحيث يكرّر الخدعة نفسها مرتين .

أدار (نور) عينيه فى المكان مغمغمًا :

- من يدرى يا (أكرم) ؟.. من يدرى ؟

ثم توقّفت عيناه عند نقطة بعينها ، هاتفًا :

- آه .. هناك !

استدار إليه (أكرم) بسرعة ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟

أجابه (نور) فى حماس ، وهو ينطلق نحو النقطة التى أشار إليها :

- مدخل من مداخل مترو الأنفاق القديم .. إنه مدخل مفتوح ، بخلاف المداخل الأخرى ، التى تم إغلاقها بحواجز خشبية ، مع بناء العاصمة الجديدة ، وإلغاء خط المترو القديم .

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- هل تعتقد أنه ..

لم يكمل عبارته ، أو يشعر حتى بالحاجة إلى هذا ، وهو يتجه مع (نور) إلى ذلك المدخل المفتوح ، ويعبرانه فى حذر شديد ، وكل منهما يشهر سلاحه ، ويرتدى منظاره الخاص بالرؤية فى الظلام ، وهبطا إلى محطة مترو الأنفاق القديم ، وراحا يقطعان ممراته فى حرص شديد ..

وسرت ارتجافة قوية فى جسد (أكرم) ، وهو يقول :

- كنت على حق يا (نور) .

قالها ، وهو يتطلّع إلى سلاح (ليدر) الأخير ..

السلاح الذهبى ..

كان الجهاز يستقرّ وسط محطة أخرى ، من محطات مترو الأنفاق الملغاة ، أمام فتحة صغيرة ، فى مدخل المحطة المغلق ، معدّة لإطلاق شعاع الذهب ..

وفى انفعال ، هتف (نور) :

ـ أراهنك على أنه ذلك السلاح .

أجابه (أكرم) فى حماس :

ـ لست فى حاجة للتأكيد .. أنا واثق بأنه السلاح نفسه .

قالها ، وهو يشير إلى سبائك الذهب ، المتصلة بالسلاح ، والتى تسللت إليها أضواء الفجر الأولى ، عبر فتحة المدخل الصغيرة ، فانعكست فوقها على نحو مبهر ، مما جعل (نور) يقول فى حيرة :

ـ عجبًا !.. كيف لم يلتقط جهاز البحث عن الذهب أية إشارات ، مع وجود هذه الكمية الرهيبة ؟

اتجه (أكرم) نحو الجهاز ، قائلاً :

ـ دعنا نبحث عن الجواب بأنفسنا .

أمسك (نور) يده ، وقال فى حزم :

ـ احترس .. لا تسمح له بأن يقودنا إلى الفخ نفسه .

هزّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد هذا .. لقد تحرّكنا فى سرعة ، ولم نمنحه فرصة كافية لإعداد فخ آخر .. كما أنه لم يكن يتوقّع استخدامنا لجهاز التتبّع الجينى هذا .

ثم أزاح يد (نور) فى بساطة ، وواصل طريقه ، مستطردًا :

ـ أضف إلى هذا أننى أهوى الشعور بالخطر .

عقد (نور) حاجبيه لحظة ، ثم سار إلى جواره فى حسم ، حتى وصلا إلى الجهاز ، فقال :

ـ آه .. هل رأيت هذا ؟!.. إنه يحيط الذهب والجهاز بغلاف خاص ، لا يُرى إلا عن قرب ، وأكاد أجزم بأنه شديد القوة والصلابة ، حتى أنه حجب الذهب تمامًا عن جهاز البحث .

تطلّع (أكرم) إلى الجهاز فى اهتمام ، ثم أشار إلى نافذة صغيرة ، تتألّق فوقها بعض الرموز العجيبة ، وسأل :

ـ ما هذا فى رأيك يا (نور) ؟

مال (نور) بعينيه ، يتطلّع إلى تلك النافذة الصغيرة ، ثم تراجع فى حدة ، هاتفًا :

ـ ربّاه !.. إنه جهاز توقيت .. لقد أعدّ ذلك الوغد الجهاز ، لينطلق فى لحظة بعينها .. أسرع يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك .. لابد أن نوقفه بأى ثمن .. هل تفهم ؟.. بأى ثمن .

تراجع (أكرم) بسرعة ، وصاح وهو يصوّب مسدسه إلى الجهاز :

- نعم يا (نور) .. بأى ثمن .

قالها ، وأطلق رصاصات مسدسه عدة مرات ، حتى فرغت خزانتـه تمامًا ، ولكن كل الرصاصات ارتطمت بذلك الغلاف الرقيق ، المحيط بالجهاز والذهب ، وارتدَّت فى عنف .

حتى أشعة مسدس (نـور) الليزرى ، لـم تنجح فى اختراق الغلاف الرقيق ، فهتف فى توتر شديد :

- مستحيل يا (أكرم) .. الأمر يحتاج إلى طاقة تفوق ما لدينا ، وإلى ..

قبل أن يتمّ عبارتـه ، ارتفعت من خلفهمـا زمجـرة قوية ..

وقبل أن يلتفتا ، انقضَّ (الميناروس) ..

وفى جسديهما انغرست الأنياب ..

وانطلقت المخالب .

★ ★ ★



١٣ - الجولة الأخيرة ..

بدأت الشمس رحلة الشروق ، وغمرت الدنيا بضوئها الأصفر الدافئ ، والدكتور (ناظم) ينهى اتصالـه بفرقة التتبع ، ويقول للقائد الأعلى :

- عثروا على حوّامة (نور) و (أكرم) .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- أين ؟

أجابه مشيرًا إلى الخريطة الكبيرة ، التى تحتلّ جدارًا بأكمله :

- هنا .. عند أطلال (القاهرة) القديمة .

انعقد حاجبا القائد ، وهو يقول :

- ما سر هذه الأطلال ؟.. لقد أصبحت تجذب كل الشرور إليها .

قال الدكتور (ناظم) :

- ومازالوا يرفضون إزالتها ، بحجة أنها رمز لتحرّر الأرض من الاحتلال(*) ..

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، ثم قال :

ـ المهم أن نرسل فرقة فورًا ؛ لدعم (نور) و (أكرم) ، أو البحث عنهما ، بعد أن غادرا الحوّامة .

أشار الدكتور (ناظم) إلى الخريطة ، قائلاً :

ـ مغادرتهما للحوّامة هنا ، تعنى أن (ليدر) يختبئ هناك ، وأنهما خلفه مباشرة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ أو أنه أوقع بهما .

قالها ، فارتجف جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، وخفق قلبه فى قوة ، وفى رأسه يتردّد سؤال مخيف ..

تُرى أين (نور) و (أكرم) ، فى هذه اللحظة بالتحديد .. أين ؟!

★ ★ ★

انقضّ (الميناروس) على ظهر (أكرم) ، قبل أن يستدير هذا الأخير لمواجهته ، وأنشب فيه مخالبه ، التى مزّقت ظهره ، وجعلته يطلق صرخة ألم رهيبة ، فرفع (نور) مسدسه الليزرى فى سرعة ، إلا أن (الميناروس) ضربه بكفه فى قوة ، فأطاح بالمسدس ، وانقض يغرس أنيابه فى ذراعه اليسرى ..

وكان الألم رهيبًا ، مع انغراس الأنياب الطويلة ، التى اخترقت الذراع كلها ، وتجاوزتها إلى الجانب الآخر ..

وفى تلك اللحظة فقط ، أدرك (نور) ذلك العذاب الرهيب ، الذى مرّ به الضحايا المساكين ، الذين افترسهم (الميناروس) بأنيابه ومخالبه ..

وبزمجرة رهيبة ، انتزع (الميناروس) أنيابه من ذراع (نور) ، وضربه بمخالبه فى صدره ، ليلقيه أرضًا ، ثم تراجع لينقض عليه فى وحشية ، ويمزّق ما تبقى منه بأنيابه ومخالبه ..

ولكن (أكرم) قفز ..

قفز متعلّقًا بعنق (الميناروس) ، وممتطيًا إياه ، وهو يصرخ :

ـ لن تفلح معنا أيها الوغد .

ثار (الميناروس) فى عنف ، وراح يقفز كالمجنون ، حتى ألقى (أكرم) أرضًا ، ثم استدار إليه فى وحشية ، وأطلق زمجرة مخيفة ، مع دائرة الضوء ، التى تسلّلت عبر الفتحة الصغيرة ، وجعلت وجه (أكرم) يتضح ..

لقد ميّز فيه (الميناروس) وجه الرجل ، الذى أطلق عليه النار يومًا ، وقتل رفيقته (بيتا) ...



ثم استعد لغرس أنيابه في عنقه ، إلا أن (أكرم) قبض على

وفى وحشية ، انقضّ (الميناروس) علـى (أكرم) ، وضرب صدره بمخالبه الحادة ، ثم استعد لغرس أنيابـه فى عنقه ، إلا أن (أكرم) قبض على العنق الضخم بكفيـه ، بكل ما يملك من قوة ، وهو يهتف :

- ليس بهذه السرعة أيها الوغد .

كانت أنفاس (الميناروس) ترتطم بوجهه ، ومخالبـه تمزّق ذراعيه وساقيه ، وأنيابه الحادة تقترب من عنقه أكثر وأكثر ..

واندفع (نور) يختطف مسدسه الليزرى ، و (أكـرم) يصرخ فيه :

- اطلق النار يا رجل .. اطرح رفتك جانبًا ، وانسف رأس هذا الوغد .

ولم يكن (نور) بحاجة للهتاف هذه المرة ..

لقد اختطف مسدسه الليزرى ، واستدار يطلق أشعته نحو (الميناروس) مباشرة ..

لم يطلق الأشعة مرة ، وإنما مرتين ..

وثلاث ..

وأربع ..

واخترقت خيوط الأشعة الأربعة جمجمة (الميناروس) ، الذى أطلق زمجرة قوية ، وضرب الهواء بمخالبه الحـادة ، وارتفعت أنيابه عالية ، ثم تهاوت ..

وسقط (الميناروس) جثة هامدة ..

وانتهت أسطورة الرعب أخيرًا ..

أسطورة الأنياب والمخالب ..

وفى المكان كله ، ترددت صرخة رهيبة ..

صرخة (ليدر) :

ـ ستدفعان الثمن .. ستدفعان الثمن .

كان الاثنان مصابين بشدة ، والدماء تنزف من جروحهما العديدة ، ولكن (أكرم) هتف :

ـ أنتَ وحدك ستدفع الثمن أيها الوغد .

أطلق (ليدر) صرخة جديدة ، قبل أن يقول :

ـ بل عالمك الذى سيدفع الثمن .. عالمكما كله سيدفع الثمن ، بعد تسع دقائق من الآن ، عندما ينطلق مدفع الذهب ، وأصنع نصبى التذكارى ، الذى لا مثيل له فى التاريخ كله ..

تسع دقائق فقط ..

تفجَّر القول فى رأس (نور) ، وهو يحدّق فى المدفع الرهيب ..

إذن فكل ما تبقَّى من عمر (القاهرة) تسع دقائق فحسب .

كانت هناك عشرات الأسئلة ، التى تشتعل فى عقل (نور) ، وهو يحدّق فى المدفع بكل اليأس والمرارة فى أعماقه ..

كيف يمكنه أن يوقف ذلك المدفع الرهيب ؟..

ولماذا لم يطلقه (ليدر) مباشرة ؟!..

لماذا لا يحاول الانقضاض عليهما ، بدلاً من الاكتفاء بالصراخ ، من نهاية النفق ؟!..

لماذا ؟!..

لماذا ؟!..

لماذا ؟!.. وكيف ؟!..

إنه يعلم أنه مسدسه الليزرى لا يكفى لتدمير أو إيقاف المدفع ، ومسدس (أكرم) خلا من الرصاصات تمامًا ، وليس لديهما من الطاقة ما يكفى لـ ...

الطاقة !!..

قفز من مكانه ، عندما دوت الكلمة فى رأسه ، وهتف :

ـ نعم .. الطاقة .

كان (أكرم) يشعر بضعف شديد ، مع كل ما فقده من دماء ، وهو يسأله فى دهشة حائرة :

ـ أية طاقة ؟

التفت إليه (نور) ، وقال فى انفعال :

ابتعد عن المدفع بقدر إمكانك يا (أكرم) .. وانتظرنى هنا .

قالها ، وانطلق يعدو بكل قوته ، نحو المدخل المفتوح ، فهتف (أكرم) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟.. ماذا تعنى ؟

لم يفهم أبدًا ما يرمى إليه (نور) بقوله ، إلا أن خبرته السابقة فى التعامل معه ، أنبأته أنه لا يفعل أو يقول شيئًا عبثًا قط ، وأنه يعنى كل كلمة نطق بها ..

لذا فقد استنفر ما تبقّى من قواه ، ونهض يبتعد عن المدفع ..

وفى مكان كممر مترو أنفاق قديم ، كانت الوسيلة الوحيدة للابتعاد هى التوغّل فى النفق أكثر وأكثر ..

وفجأة ، وجد نفسه أمام آخر شخص يتمنى رؤيته ، فى تلك اللحظة ..

أمام (ليدر) ..

كان قائد (لاتنس) الرهيب يحدّق فيه بعينيه الغائرتين المخيفتين ، اللتين تطلّ منهما نظرة صارمة قاسية ، فهتف (أكرم) ، وهو يطلق قبضته فى وجهه :

ـ أخيرًا أيها الوغد .

ولكن (ليدر) تلقّى قبضة (أكرم) فى راحته ، وقال فى قسوة :

ـ أخيرًا أيها الأرضى .

ثم هوى بضربة سريعة على عنق (أكرم) ، اشتركت مع كل ما فقده من دماء ، ومع ما يشعر به من ضعف ، ليسقط فاقد الوعى ، بين ذراعى (ليدر) ..

خصمه اللدود ..

* * *

آلام رهيبة انتشرت فى جسد (نور) ، وهو يعدو عبر النفق ..

آلام اشتركت فيها جراحه ، وتوتراته ، ومخالب (الميناروس) وأنيابه ..

ولكنه لم يكن يستطيع التوقّف عن الجرى لحظة واحدة ..

كان يعلم أن مصير (القاهرة) كلها يتوقّف على نجاحه فى مهمة محدودة ..

فى العثور على الطاقة اللازمة لتدمير مدفع الذهب ..

وعبر (نور) مدخل المترو المفتوح بقفزة واحدة ، وانطلق يعدو وسط الأطلال ، ويقفز فوق الصخور والبقايا ، ويتجاوز الجدران المتهدّمة والشوارع المحطّمة ، حتى وصل إلى نفس البقعة التى استدرجه إليها (ليدر) من قبل ..

وفى لهفة ، أسرع نحو فتحة الصرف القديمة ، التى سقطت فيها كرة (ليدر) الأرجوانية القاتلة ..

كان أمله ينحصر فى إمكانية الحصول على تلك الكرة ..
أمله الوحيد ..

وخفق قلبه فى قوة ، عندما وقع بصره على الكرة ، القابعة فى أعماق الفتحة ..

كانت تتألق بلونها الأرجوانى الباهت ، وكأنها تعلن استعدادها للمعاونة ..

وبسرعة ، دفع (نور) يده داخل الفتحة ، ليلتقط الكرة ، و ...

وانتفض جسده فى عنف ..

ذراعه كلها لم تكف لالتقاط الكرة ..

أصابعه حتى لم تلمسها ..

وصرخ قلبه فى ارتياع ، وهو يبذل قصارى جهده لالتقاط الكرة دون جدوى ..

واعتدل (نور) ، يلقى نظرة على ساعته ، والتوتر يغمر نفسه كلها ..

لم يعد باقيًا أمامه سوى خمس دقائق فحسب ..

خمس دقائق وينطلق مدفع الذهب ..

وتنتهى (القاهرة) ..

خمس دقائق ، وهو يقف عاجزًا عن التقاط الأمل الوحيد فى إنقاذ الموقف كله ..

وتلفّت (نور) حوله فى توتر بالغ ، بحثًا عن وسيلة ، ثم لم تلبث عيناه أن توقفتا عند الحوّامة ، التى أقلّته مع (أكرم) إلى المكان ..

وتفجّرت الفكرة فى عقله بغتة ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، انطلق يجرى نحو الحوّامة ، وفتح محركها فى سرعة ، وانتزع غطاء خزان الوقود ، وراح يفرغ محتوياته فى وعاء احتياطى كبير ، لم يكد يمتلئ ، حتى أسرع به إلى فتحة الصرف ، وهو يغمغم :

ـ أتعشّم أن تكون هذه الفتحة مسدودة ، بعد تلف جهاز الصرف كله .

قالها ، وصبَّ الوقود داخل الفتحة ، وقلبه يخفق فى توتر ..

ومن حسن حظه أن الصخور سدت مسار الصرف بالفعل ، فتجمّع الوقود داخل الفتحة ، ومع ارتفاع منسوبه ، طفت الكرة على سطحه ، و ...

والتقطها (نور) ..

كاد يصرخ من السعادة ، عندما أصبحت بين أصابعه ، وألقى نظرة سريعة على ساعته ، التى أشارت إلى أنه لم يعد أمامه سوى دقيقة وخمسين ثانية فحسب ..

وعاد (نور) يجرى بأقصى سرعته ، عائدًا إلى نفق المترو ، وآلامه تتضاعف وتتضاعف ، وأنفاسه اللاهثة تلتهم صدره ، وتجثم عليه بشدة ..

ولم يدر لماذا يصرّ الوقت على المضى كالصاروخ عندما نحتاج إليه ؛ فقد راحت الثوانى تتساقط بسرعة ، والدقيقة تُلتهم ثانية وراء الأخرى ، و ...

ولاح له المدفع من بعيد ..

كانت أمامه عشرون ثانية فحسب ، قبل أن ينطلق ، وقد انزاح مدخل المترو تمامًا ، بوساطة جهاز آلى خاص ، وتدفّقت منه أشعة الشمس ، لتتألّق تحتها سبائك الذهب ، كألف ألف شمس صغيرة ، وتغمر المدفع الكبير ، الذى استعد للانطلاق ..

ولم يتوقّف (نور) عن الركض ..

لقد صوّب الكرة إلى المدفع ، وضغط جانبيها ، والثوانى تواصل انهيارها بسرعة البرق ..

وانطلقت الصاعقة من الكرة ..

انطلقت لتصيب المدفع مباشرة ، قبل سبع ثوان من موعد إنطلاقه ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بالمدفع ، وسبائك الذهب ..

و (نور) نفسه ..

لقد انتزعته موجة التضاغط من مكانه ، وألقته عبر النفق لخمسة أمتار كاملة ، قبل أن يسقط أرضًا ، وتتساقط حوله سبائك الذهب ، وقطع الأحجار ، وشظايا المدفع ..

وطوى (نور) جسده ، وهو يخفى رأسه بذراعيه ، ويحتمل آلام الضربات ، حتى هدأ الموقف كله ..

وانتهى الأمر ..

انتهى أمر مدفع الذهب ، الذى صنعه (ليدر) ليحقّق انتقامه الرهيب ..

وفى بطء ، نهض (نور) ، والدم يغمر ثيابه ، وتطلّع إلى الحطام ، الذى غمرته أشعة الشمس ، وقلبه يخفق فى ارتياح ، جعله يهتف :

ـ خسرت هذه المرة يا (ليدر) .

قالها ، واتجه نحو الحطام ، وتجاوزه إلى الجانب الآخر من النفق ، وهو يبحث عن (أكرم) ، وبدأ القلق يتسلّل إلى نفسه ، عندما لم يعثر عليه ، فهتف :

ـ (أكرم) .. أين أنت ؟

أتاه صوت (ليدر) العميق ، عبر النفق ، وهو يجيب :

ـ هنا .

التقى حاجبا (نور) فى عصبية مع صوت (ليدر) ، الذى تابع فى صرامة وقسوة :

- كان ينبغى أن تدرك أن الانتصار على (ليدر) مستحيل أيها المقدّم .. مستحيل تمامًا .

صمت (نور) فى توتر بالغ ، وراودته فكرة استخدام كرة الطاقة الأرجوانية ، لسحق (ليدر) بضربة واحدة ، إلا أنه انتبه ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أنه فقد الكرة مع الانفجار ، ولم يعد بإمكانه العثور عليها فى سهولة ، فاستلّ مسدسه الليزرى ، وهو يقول :

- لو مسست شعرةً واحدةً فى رأس (أكرم) ..

قاطعته ضحكة ساخرة مجلجلة ، تردّدت عبر النفق ، قبل أن يقول (ليدر) :

- اطمئن أيها المغرور .. أنا مصرّ على سحقكما معًا بضربة واحدة .

تقدّم (نور) فى حذر ، عبر النفق الطويل ، متتبّعًا صوت (ليدر) ، الذى أضاف :

- هذا يجعلنى أشعر بالظفر أكثر .

واصل (نور) طريقه ، عبر النفق الطويل المظلم ، حتى بلغ محطة أخرى ، من محطات مترو الأنفاق القديمة ..

محطة يقف وسطها (ليدر) ، وعيناه الغائرتان تتألقان فى ظفر مخيف ، وعند قدميه يرقد (أكرم) فاقد الوعى ..

ولقد تضاعف تألّق عينى (ليدر) ، مع وصول (نور) ، وقال :

- عظيم .. أعتقد أنها الجولة الأخيرة أيها المقدّم .

وكان على حق تمامًا هذه المرة ..

إنها الجولة الأخيرة ..

★ ★ ★

وضع قائد القوات الخاصة منظاره الشمسى على عينيه ، وهو يلقى نظرة على قرص الشمس ، الذى بدأ يرتفع فى السماء ، قبل أن يقول ، عبر جهاز الاتصال الصغير :

- الحوّامة أمامنا مباشرة ، سنهبط إلى جوارها ، ونبحث عن المقدّم (نور) وزميله .

حام بحوّامته حول حوّامة (نور) لحظات ، ثم استعدّ للهبوط ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار بدا واضحًا ، عبر أحد مداخل مترو الأنفاق القديم ، فهتف الرجل :

- ما هذا بالضبط ؟!

ثم هتف عبر جهاز الاتصال :

- يبدو أننا عثرنا عليهما بالفعل يا سيّدى .

أجابه الدكتور (ناظم) فى لهفة :

ـ حقًا ؟!.. وكيف هما ؟

قال القائد فى حزم :

ـ لا يمكننى الجزم يا سيِّدى .

سأله الدكتور (ناظم) قلقًا :

ـ لماذا ؟

أجابه ، وهو يهبط بحوَّامته :

ـ هناك انفجار يشير إلى وجودهما على الأرجح ، ولكنه لا يشير إلى موقفهما منه .

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ ابحث عنهما يا رجل .. ابذل قصارى جهدك للبحث عنهما بالله عليك .

غمغم القائد :

ـ سأفعل بإذن الله .

وأنهى الاتصال ، وأعاد الجهاز إلى حزامه ، وهو يراقب رجاله ، الذين انتشروا فى المكان ، وسمع أحدهم يهتف :

ـ سيِّدى .. هناك شىء سيثير اهتمامك هنا .

أسرع إليه القائد ، والتقط منه سبيكة ذهب ، تأمَّلها فى اهتمام ، وقال :

ـ آه .. هذا هو الذهب المسروق إذن .

ثم تطلَّع عبر مدخل المترو ، الذى يبدو منه حطام المدفع ، قبل أن يقول :

ـ لقد توصلنا إلى شىء ما إذن ، وبقى أن نبحث عن الرجلين وخصمهما ، و ...

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وأن نجدهما على قيد الحياة ..

بالتأكيد أيها القائد ..

المهم أن نجدهما ..

وعلى قيد الحياة ..

★ ★ ★

مرَّت دقيقة كاملة من الصمت الرهيب ، و (نور) يتطلَّع إلى (ليدر) ، الذى أطلَّت من عينيه نظرة ظافرة شامتة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويبتسم ابتسامة ساخرة متشفية ..

وفى صرامة ، رفع (نور) مسدسه الليزرى ، وصوَّبه إليه ، قائلا :

ـ هل تعتقد أنك ربحت يا (ليدر) ؟

أجابه النحيل فى ثقة :

ـ نعم أيها المقدِّم .. صحيح أنك نسفت مدفعى ، ولكنك لم تربح بعد .

قال (نور) فى حدة :
- وماذا لو ضغطت زناد مسدسى ؟
اتسعت ابتسامة (ليدر) ، وتحولت إلى ضحكة ساخرة عالية أدهشت (نور) ، قبل أن يقول :
- من الواضح أنك لم تفهم (ليدر) بعد أيها المقدّم .. (ليدر) لا ينهزم أبدًا ..
ثم جذب شيئًا ما أمام وجهه مضيفًا :
- ألم تنتبه إلى هذا ؟!.. إلى الغلاف الرقيق ، الذى يحيط بى ؟!.. إنه شفاف إلى الحد الذى منعك من ملاحظته ، إلا أنه بالغ القوة علىَ نحو لم يعهده عالمك قط ، حتى أنه ما من طاقة فى الكون كله يمكنها اختراقه ..
قال (نور) فى صرامة :
- مثل الغلاف الذى كان يحيط بمدفعك ، والذى نسفته بكرتك .
هزّ (ليدر) رأسه فى بطء ، قائلاً :
- بل هذا يفوقه بألف مرة ، ويمتلك القدرة على معادلة أشعة الليزر بالتحديد ، ويمكنك أن تختبر هذا بنفسك .
قال (نور) فى حزم :
- سأفعل .
وضغط زناد مسدسه الليزرى مرة ..

ومرة ..
ومرة ..
وفى كل مرة كانت الأشعة تبلغ ذلك الغلاف الشفاف ، ثم تتلاشى على الفور ، فقهقه (ليدر) ضاحكًا ، وهو يقول :
- كان ينبغى أن تصدّقنى دون مجادلة أيها المقدّم .. لقد أخبرتك أن هذا الغلاف مجهز لمعادلة طاقة أشعة الليزر بالتحديد .
خفض (نور) مسدسه ، وهو يقول :
- هذا يدهشنى فى الواقع ، فأشعة الليزر مجرّد تركيز للضوء ، والضوء يخترق كل الأسطح الشفّافة ، وهو يخترق غلافك هذا حتمًا ، وإلا ما أمكنك أن ترى .
أجابه (ليدر) :
- هذا صحيح .. الضوء يخترق غلافى ، ولكن أشعة الليزر لا تفعل .. هذا لأن جسدى محاط بطاقة أخرى غير مرئية ، تتعادل مباشرة مع أشعة الليزر ، وتشتّتها ، فتفقد مزيتها الأساسية ، وتصبح مجرّد ضوء عادى ، لا يؤذى أحدًا .
عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :
- هل تعتقد أنك تستطيع الانتصار هذه المرة أيضًا يا (ليدر) ؟.. ألا تدرك أنك ، حتى لو نجحت فى قتلنا ،

قد فقدت ملاذك الأخير ، بعد انفجار مدفع الذهب ، الذى سيجذب رجالنا إلى هنا حتمًا ؟

ابتسم (ليدر) فى سخرية ، قائلاً :

- ألم أقل لك : إنك لم تفهم (ليدر) بعد ؟!.. هل تصوّرت أن مدفع الذهب هذا هو آخر سلاح أمتلكه ؟!.. هل خطر ببالك لحظة ، أننى لم أدرك أن الانفجار سيجذب رجالكم كالذباب إلى هنا ؟.. خطأ أيها المقدّم .. أكبر خطأ ارتكبته فى حياتك كلها .. (ليدر) ليس شخصًا هينًا إلى هذا الحد .. كل شىء وضعته فى الاعتبار أيها المقدّم .. كل شىء وكل الاحتمالات .. إننى أعرف حتى ما تجهلونه أنتم .. أعرف مثلاً أن رجالكم وصلوا إلى هنا بالفعل ، وأنهم سيسعون إلىّ .

ثم فتح يده ، التى استقرّت فيها أسطوانة صغيرة ، وهو يستطرد :

- وستكون فى انتظارهم مفاجأة .

وضغط الأسطوانة ، مضيفًا :

- مفاجأة مدهشة .

سأله (نور) فى توتر :

- ماذا فعلت يا (ليدر) ؟

ابتسم (ليدر) فى سخرية ، وهو يجيب :

- أغلقت النفق تمامًا أيها العبقرى .. سيبحثون عنكما ، ولكنهم سيجدون النفق مسدودًا ، وعندما يحاولون فتحه ، سيشعلون قنبلة خاصة ، تطيح بهم مع المكان كله .

وأشار إلى صدره ، مضيفًا فى وحشية :

- قنبلة من عالمى .

سرت موجة عنيفة من التوتر فى جسد (نور) ، وهو يقول :

- أنت أكثر شخص دموى عرفته ، فى حياتى كلها .

قهقه (ليدر) ضاحكًا فى جذل ، وهو يقول :

- لن يمكنك أن تتصوّر كم يسعدنى حديثك أيها المقدّم .

وفجأة ، قبضت يد (أكرم) على قدم (ليدر) ، وهو يقول فى عصبية :

- بل لن يمكنك أنت تصوّر كم يسعدنى القضاء عليك أيها الوغد .

تحرّك (ليدر) فى سرعة ، وركل (أكرم) بقدمه ، فاندفع (نور) نحوه ، هاتفًا :

- أيها الحقير .

انحنى (ليدر) فى سرعة ، وانتزع (أكرم) من مكانه فى قوة مدهشة ، وألقاه نحو (نور) ، صارخًا :

- لن تفهما أبدًا .. لن تفهما أبدًا .

ارتطم (أكرم) بـ (نور) ، وسقط الاثنان أرضًا ، و (ليدر) ينتزع سلاحًا جديدًا من حزامه ، مستطردًا :

ـ ومن العار أن يحيا الأغبياء أمثالكما .

قالها ، وصوَّب إليهما سلاحه ، وعيناه تحملان غضب ووحشية الدنيا كلها ، فغمغم (أكرم) فى تهالك شديد :

ـ وداعًا يا (نور) يبدو أن أحدنا لن يحيا هذه المرة ، ليشاهد شروق شمس جديدة .

وصرخت عينا (ليدر) ، واستعد ليطلق سلاحه .. وليسحق خصميه .. (نور) و (أكرم) .

* * *



١٤ ـ الختام ..

حكَّ قائد القوات الخاصة رأسه فى حيرة ، وهو يقف أمام ذلك الجدار العجيب ، الذى يسدّ نفق المترو القديم ، وغمغم :

ـ من أين أتى هذا الشىء ؟!.. إنه يعترض المسار الطبيعى القديم للمترو !

قال أحد رجاله :

ـ ربما صنعوه حديثًا .

قال القائد فى حيرة :

ـ ولماذا ؟!.. لقد قاموا بإلغاء هذه المحطات بالفعل .

وانعقد حاجباه لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .. أيًا كان هذا الشىء ، فهو يعترض طريقنا ، وليس لدينا سوى وسيلة واحدة للتعامل معه .

والتقط نفسًا عميقًا ، وأضاف :

ـ أن ننسفه ..

وكادت الجدران تردّد ضحكة (ليدر) ..

ضحكته الساخرة ..

* * *

صوّب (ليدر) سلاحه إلى (نـور) و (أكرم) ، دون أن يكون هناك سبب واحد ، فى العالم أجمع ، يمكن أن يمنعه من قتلهما بلا رحمة ..

ولكن عبارة (أكرم) الأخيرة دوت فى عقل (نور) ..

شروق الشمس ..

تكرّر المصطلح فى رأس (نور) فى عنـف ، واقتحم عقله الباطنى ، وانتزع منه مشهدًا واحدًا ..

مشهد (ليدر) ، وهو يطاردهما ، عندما عبرا بوّابة الأبعاد ، عائدين إلى عالمهما ، بعد صراعهما فى الأرض المفقودة(*) ..

وفجأة ، فهم (نور) كل شىء ..

فى جزء من الثانية ، استرجع عقله الكثير ..

وفهم الأكثر ..

فهم لماذا كان (ليدر) يضرب ضرباته كلها فى الليل ..

(*) راجع قصة (الأرض المفقودة) .. المغامرة رقم (١٠٣) .

وقبل شروق الشمس ..

لماذا عجز عن مطاردتهما ، عبر بوّابة الأبعاد ..

بل وفهم لماذا لم يستطع شعب (لانتس) أبدًا احتلال الأرض ..

الآن فقط فهم كل هذا ..

الآن فقط علم لماذا لم يستطع (ليدر) أن يواجههما عند مدفع الذهب ..

لماذا استخدم جهاز توقيت لإطلاقه ، بدلاً من أن يطلقه بنفسه ..

وفهم لماذا كان عقله الباطن يرتبط بالشمس ، منذ بدأت هذه القضية بالتحديد ..

فهم ..

وفهم ..

وفهم ..

كل هذا فى جزء من ثلاثة أجزاء من الثانية ..

وفى الجزأين التاليين ، صرخ (نـور) ، وهو يمسك مقبض مسدسه الليزرى بقبضتيه ، ويدير فوهته نحو مدخل المحطة القديم ، المغلق بحاجز خشبى :

ـ لا .. لن تنتصر يا (ليدر) .

وأطلق أشعة الليزر ..

أطلقها نحو زاوية الحاجز الخشبى مرة ..
ومرة ..
ومرة ..
ثلاث طلقات متتابعة سريعة ، انهار بعدها الحاجز الخشبى ، وتدفقت أشعة الشمس عبر المدخل ، لتغمر المحطة كلها ..

وهنا أطلق (ليدر) صرخة رهيبة ..

أقوى صرخة رعب وألم سمعها (نور) ، فى حياته كلها ..

صرخة ترددت عبر النفق كألف ألف صيحة ..

وأمام عينى (أكرم) الذاهلتين ، تلوّى جسد (ليدر) فى عنف ، وكأنه يحترق تحت أشعة الشمس ، ثم لم يلبث أن انهار متكومًا ، وتلاشت صرخته ، وغاصت فى أعماقه ..

ولم يعد هناك (ليدر) ..

لقد تحوّل داخل غلافه الشفّاف إلى كتلة حمراء ملتهبة ، لم يعد بها أدنى أثر للحياة ..

وفى ذهول هتف (أكرم) :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا أصابه ؟

قاوم (نور) الدوار العنيف ، الذى يحيط به ، وهو يدفع جسده دفعًا ، نحو جثة (ليدر) ، قائلًا :

ـ الشمس يا صديقى .. السر كله يكمن فى الشمس .. لقد قضى هؤلاء القوم حياتهم كلها بدونها ، وحولهم طاقة مجهولة ، تعبث بأجسادهم ومقاديرهم ، حتى لم يعد باستطاعتهم احتمال حرارة الشمس قط .. لهذا لم يستطع (ليدر) مطاردتنا ، عندما هربنا من عالمه إلى الصحراء المشرقة فى عالمنا .

ثم انتزع الأسطوانة الدقيقة ، من بين أصابع (ليدر) ، وضغطها ليزيح الحاجز ، ويوقف عمل القنبلة ، و (أكرم) يهتف :

ـ آه فهمت .

قالها ، وهوى فى غيبوبة عميقة ، مع وقع أقدام الجنود ، التى تقترب فى سرعة ، فى حين تمتم (نور) :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وترك جسده يسترخى ، بعد أن حقق فريقه الصغير انتصارًا جديدًا ..

وحاسمًا .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

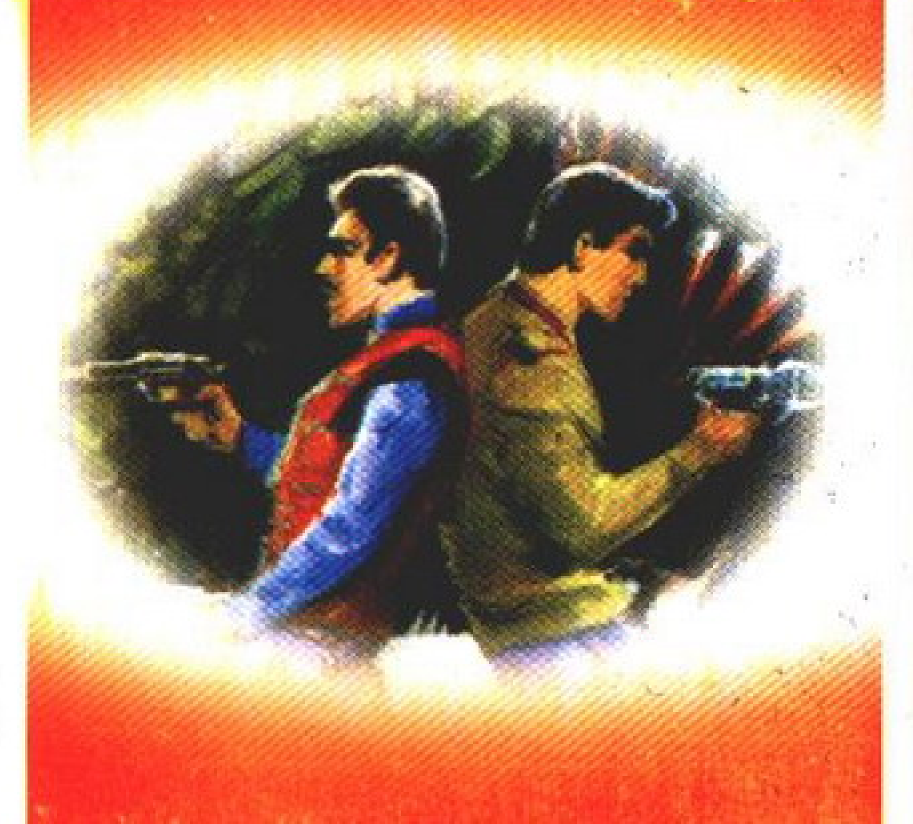


د. نبيل فاروق

أنياب ومخالب

- ماسر تلك التفجيرات ، التى حدثت فى القاهرة ، دون سابق إنذار؟!..
- كيف ظهرت وحوش عجيبة فى عالمنا ، تمزِّقُ ضحاياها بأنيابها ومخالبها ؟!..
- ترى هل ينجح (نور) و (أكرم) فى التصدى للخطر الجديد ، أم يذهبان ضحية (أنياب ومخالب)؟!..
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واستمتع بقتال فريق (نور) .





الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر